

يا عمال العالم، اتحدوا!

طريقُ البُلشفيّة



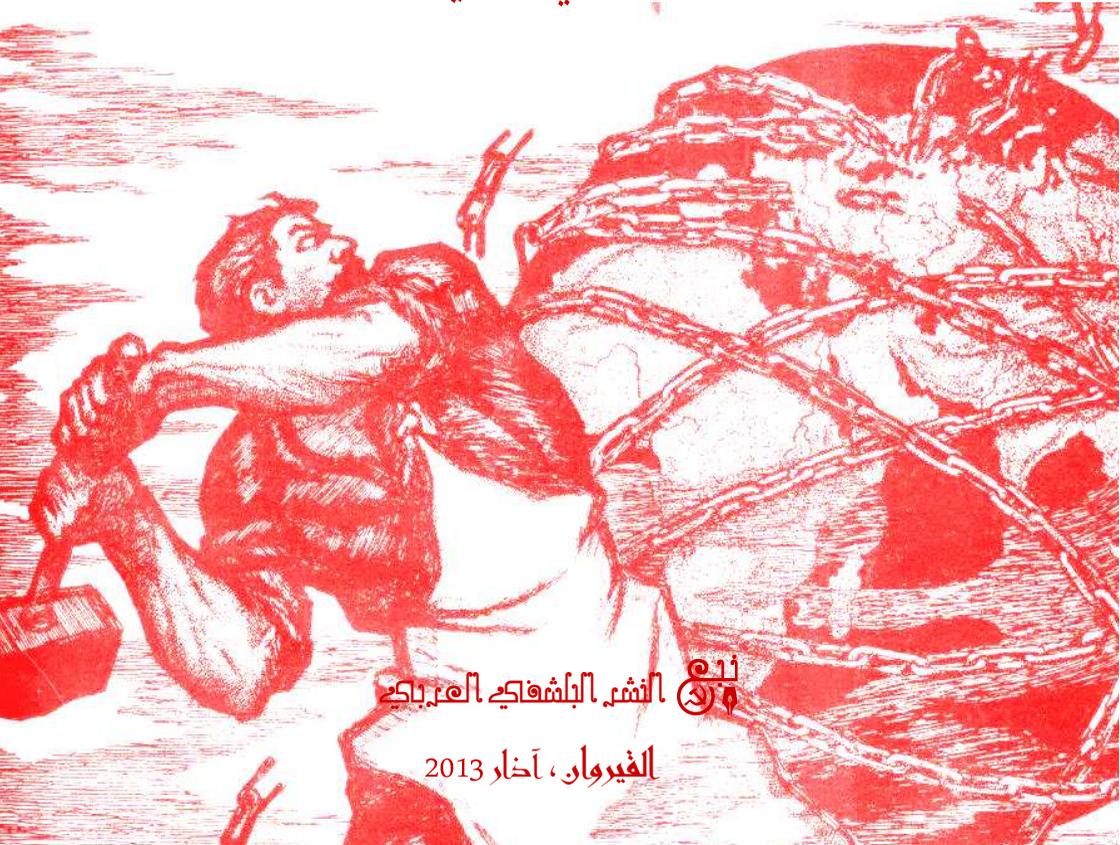
بمناسبة الذكرى المأساوية الستين لاعتقال الرفيق ستالين

سؤالين

البُلشفيّة وفضايا الثورة الصّينيّة

ترجمة

محمد علي العربي



النشر البُلشفيّ العربي

الفيروان، آذار 2013

تنبيه

جميع ما تضمّنه هذا الكتاب من نصوص كان قد نشر لأول مرة على صفحة [طريق البُلشفيّة](#) من آذار إلى أيار 2012.

الطبعة الرقمية الأولى. القيروان، آذار 2013.
النسخ كاملا مجاناً رقمياً أو ورقياً.

مذللين

الْبُلْشَفِيَّةُ وَفَضْلِيَا الثَّوْرَةِ الصِّينِيَّةِ

المحتويات

5	آفاق الثورة في الصين
5	1. طابع الثورة في الصين
7	2. الإمبريالية والتدخل الإمبريالي في الصين
9	3. الجيش الثوري في الصين
11	4. طابع الحكومة المقبلة في الصين
13	5. القضية الفلاحية في الصين
16	6. الطبقة العاليتة وهيبتها في الصين
17	7. قضية السباب في الصين
17	8. بعض الاستنتاجات
19	قضايا الثورة الصينية
19	1. آفاق الثورة الصينية
20	2. أولى مراحل الثورة الصينية
23	3. ثاني مراحل الثورة الصينية
24	4. أخطاء المعارضة
28	حديث مع طلبة جامعة صن يات صن
54	الثورة في الصين وممّات الأئمة الشيوعية
54	1. بعض القضايا الصغيرة
	2. الثورة الفلاحية-الزراعية من جهة أمّها قاعدة الثورة الديمقراطية
56	البرجوازية
64	3. يمين الكيوميستانغ يذبّح الشيوعيين في نانكين
66	4. مجالس نواب العمال والفلاحين في الصين
75	5. خطّان
80	ملاحظات في مواضيع راهنة
107	حول الصين

آفاق الثورة في الصين

خطاب في اللجنة الصينية في تنفيذية الأمانة الشيوعية، 30 تشرين الثاني

1926

أيها الرفاق،

قبل أن أمرّ إلى موضوع النقاش، أعتقد أنّ من الضروري أن أعلن أنّي لا أمتلك عن القضية الصينية المادة الصافية الضرورية لتقديم لوحة عامّة للثورة الصينية. لذا، أجد نفسي مضطراً إلى أن أقصر على تقديم ملاحظات عامّة ذات طابع أساسي ولها صلة مباشرة باتجاه الثورة الصينية العامّة.

بين يدي أطروحات بتروف وأطروحات ميف وتقريراً تابع بينغ-شان وملاحظات رافس في القضية الصينية. أعتقد أنّ كلّ هذه الوثائق، رغم فضائلها، تشكو من نقص فادح وهو لا مباليتها بعدد من القضايا الجذرية في الثورة الصينية. أعتقد أنّ من الضروري، قبل كلّ شيء، أن ألفت الانتباه إلى هذه النقائص. لذا، ستكون ملاحظاتي ذات طابع نقدي في ذات الوقت ❖

1. طابع الثورة في الصين

لقد قال لينين أنه سيكون للصينيين قريباً عام 1905 الخاص بهم. لقد فهم بعض الرفاق من ذلك أنه سيكون عند الصينيين تكرار مطابق لما حصل عندنا هنا في روسيا عام 1905. أيها الرفاق، إنّ ذلك خطأ. فلم يقل لينين أبداً أنّ الثورة الصينية ستكون نسخة مطابقة لثورة 1905 في روسيا. وكلّ ما قاله هو أنّ للصينيين عام 1905 الخاص بهم. وهذا يعني أنّ الثورة الصينية ستكون لها، بالإضافة إلى

الخصائص العامة في ثورة 1905 في روسيا، سياتها الخاصة التي ستضع بصمتها الخاصة على الثورة الصينية.

ما هي تلك الخصوصيات؟

الخاصية الأولى هي أنه بينما الثورة الصينية هي ثورة ديمقراطية برجوازية فإنها، في ذات الوقت، ثورة تحرر قومي تتجه ضدّ الهيمنة الإمبريالية الأجنبية في الصين. وفي هذا، على الأخص، تختلف عن ثورة 1905 في روسيا. فالتقطعة المهمة هي أنّ قاعدة الإمبريالية في الصين تظهر لا في قوتها العسكرية فحسب، بل، وعلى نحو أخص، في واقع أنّ الخيوط الأساسية للصناعة في الصين و سكك الحديد والمطاحن والمصانع والمناجم والبنوك، وغيرها، هي ملك الإمبرياليين الأجانب أو تحت سيطرتهم. مما ينتج عنه أنّ قضايا التضال ضدّ الإمبريالية الأجنبية وأعوانها الصينيين لا يمكنها إلا أن تلعب دورا هامًا في الثورة الصينية. وهذا الواقع يلحق، مباشرة، الثورة الصينية بثورات عمال كلّ البلدان ضدّ الإمبريالية.

الخاصية الثانية في الثورة الصينية هي أنّ البرجوازية القومية الكبيرة في الصين ضعيفة إلى أقصى حدّ، وأضعف بكثير جدّا مما كانت عليه البرجوازية الروسية عام 1905. وهذا أمر مفهوم. ولما كانت الخيوط الأساسية للصناعة متجمّعة بين أيدي الإمبرياليين الأجانب، لم يكن للبرجوازية القومية الكبيرة إلا أن تكون ضعيفة وفي المؤخرة. وفي هذا الصدد فإنّ ملاحظة ميف على صواب في موضوع ضعف البرجوازية القومية في الصين كأحد الوقائع الخصوصية في الثورة الصينية. لكن، ينتج عن ذلك أنّ دور المبادر والمرشد في الثورة الصينية، ودور القائد للفلاحين الصينيين يجب، حتمًا، أن يُلقى على كاهل الطبقة العاليتة الصينية وحزبها.

وهناك خاصية ثالثة في الثورة الصينية لا يجب التقليل من أهميتها وهي أنّ الثورة الصينية ملاصقة للاتحاد السوفييتي الذي بوجوده وتطوره وبتجربته الثورية وعونه لا يمكنه إلا أن يسهّل نضال الطبقة العاليتة الصينية ضدّ الإمبريالية وضدّ بقايا الإقطاع والقرون الوسطى في الصين.

تلك هي السّات الخصوصيّة الأساسيّة في الثّورة الصّينيّة والتي تحدّد طابعها واتّجاهها ❁

2. الإمبرياليّة والتّدخل الإمبريالي في الصّين

أول عيوب تلك الأطروحات هو عدم اهتمامها أو انتقادها من أهميّة قضيّة التّدخل الإمبريالي في الصّين. فإنّ دراسة لتلك الأطروحات يمكنها أن تقودنا إلى الاعتقاد أنّ ليس هنالك، في الوقت الحاضر، أيّ تدخّل إمبرياليّ في الصّين، وأنّ هنالك فقط صراع بين الشّاليتين والجنوبيّتين، أو بين مجموعات من الجزرالات. وأكثر من ذلك، ففيها توجه يوحى بأنّ معنى التّدخل هو اعتداء الجيوش الأجنبيّة على الأرض الصّينيّة، فإن لم تكن الحالة تلك فليس هنالك تدخّل.

أيّها الرفاق، ذلك خطأ كبير. إنّ التّدخل أبعد من أن ينحصر في اعتداءات الجيوش. ولا تمثّل اعتداءات الجيوش أبدا الخاصيّة الأساسيّة في التّدخل. ففي الطّروف الرّاهنة للحركة الثّوريّة في البلدان الرّأسماليّة، حيث الاعتداء العسكري الأجنبي المباشر يمكن أن يثير احتجاجات ونزاعات، يفترض التّدخل أكثر مرونة وأشكالا أكثر تحفّيا. وفي الطّروف الجارية اليوم تفضّل الإمبرياليّة التّدخل في بلد تابع بتنظيم الحرب الأهليّة فيه من خلال تمويل القوى الرّجعيّة ضدّ الثّورة، وبتقديم عون معنوي ومالي لأعوانها الصّينيين ضدّ الثّورة.

لقد اضطرّ الإمبرياليون إلى تصوير صراع دينيكين وكولتشاك وورنغل ويودنيتش ضدّ الثّورة في روسيا كصراع داخلي محض. لكننا نعلم جميعا، وليس فقط نحن بل العالم أجمع، أنّ إمبريالي إنجلترا وأمريكا وفرنسا واليابان كانوا يقفون وراء أولئك الجزرالات الرّجعيّين التّروس الذين لو لا سندهم لكانت حرب أهليّة خطيرة أمرا مستحيلا. ويجب أن يقال عن الصّين نفس الشّيء. فصراع وُو بييف-فو وسان شانغ-فانغ وشانغ تسونغ تسولين-شانغ ضدّ الثّورة في الصّين كان مستحيلا بكلّ بساطة لو لا أنّ أولئك الجزرالات تلقوا العون من إمبريالي جميع البلدان، ولو لا أنّ هؤلاء الأخيرين قدّموا لأعوانهم الأسلحة والفتيّين و«المستشارين»، إلخ.

فيما تكمن قوّة جيش كاتون؟

في واقع أنّه يدفعه مثل أعلى، تدفعه التّخوة، خلال التّضال من أجل التّحرّر من الإمبرياليّة؛ في واقع أنّه يحقّق تحرّر الصّين.

فيما تكمن قوّة الجزيئات المعادية للتّورة في الصّين؟ في واقع أنّهم مستندون إلى إمبريالي كلّ البلدان، وإلى مالكي كلّ سكك الحديد والامتيازات والمطاحن والمصانع والبنوك والمراكز التجاريّة في الصّين.

وبالتالي لا يتعلّق الأمر باعتداء الجيوش الأجنبيّة فقط ولا يمكن أن ينحصر الأمر في ذلك أبداً، كأنّ يقدّم إمبرياليو كلّ البلدان العون لأعداء التّورة في الصّين. إنّ الاعتداء على أيدي الآخرين هو أصل الاعتداء الإمبريالي الحالي في الصّين.

لنا، فإنّ من لا يبالي بواقع التّدخل الإمبريالي في الصّين أو ينتقص من أهمّيته فإنّما هو لا يبالي بالأمر الرئيسيّ والأكثر أساسيّة في الصّين أو ينتقص من أهمّيته.

لقد قيل أنّ الإمبرياليّين اليابانيّين يظهرون بعض ملامح «التّية الطّيبة» نحو أهالي كاتون والتّورة الصّينيّة بوجه عامّ. وقيل أنّ الإمبرياليّين الأمريكيّين ليسوا على ما عليه اليابانيّون في هذا الأمر. أيّها الرّفاق، إنّ ذلك كمن يحدّث نفسه.

يجب أن نعرف كيف نميّز جوهر السياسة الإمبرياليّة، بما في ذلك الإمبرياليّين الأمريكيّة واليابانيّة، عن أقمعتها. فكثيراً ما قال لينين أنّ من الصّعب أن يأخذ الثّوريّون بالقوّة، لكنّ من السّهل جدّاً، أحياناً، أن يأخذوا باللين. أيّها الرّفاق، لا يجب أبداً أن ننسى هذه الحقيقة التي قدّمها لينين. وعلى كلّ حال، من الواضح أنّ الإمبرياليّين اليابانيّين والأمريكيّين قد برهنوا على قيمتها. لذا، من الصّوروري أن نميّز، تمييزاً قوياً، إطرء الإمبرياليّين أهالي كاتون عن واقع أنّ الإمبرياليّين الذين يظهرون كرماء بإطرائهم هم أنفسهم الذين يتشبّهون بقوّة بقروضهم* وسكك الحديد في الصّين، وليس عندهم تّية التّخلي عنها ممّا كان الثّمن ❁

3. الجيش الثوري في الصين

تتعلق ملاحظتي الثانية في الأطروحات المقدمة بقضية الجيش الثوري الصيني. الحق أن قضية الجيش غائبة أو منتقص من أهميتها في الأطروحات، (صوت يهتف: «هذا صحيح»)، وفي ذلك نقيضها الثانية. وغالبا ما أعتبر التقدم نحو شمال كانتون، لا على أنه اتساع الثورة، وإنما على أنه نزاع بين الجزالات وؤو باي-فو وسان شوان-فانغ من جهة وقادة كانتون من جهة ثانية هدفه إزاحة جنرالات ليحل محلهم آخرون. أيها الرفاق، ذلك خطأ كبير. فالجيوش الثورية في الصين هي عامل أكثر أهمية في نضال العمال والفلاحين الصينيين في سبيل التحرر.

هل كان من المصادفة أنه إلى حدود أيار أو حزيران من هذا العام كان يقدر الوضع الصيني على أنه قاعدة الرجعية إثر هزيمة جيوش فان يوهسيانغ، بينما فيما بعد، في صيف هذا العام، لم يكن لجيش كانتون المطفر إلا أن يتقدم إلى الشمال ويحتل هوباى فتتغير كامل اللوحة، جذريا، لصالح الثورة؟

لا. لم يكن ذلك صدفة. إن تقدم كانتون يعني ضربة للإمبريالية، ضربة لأعدائها في الصين، إنه يعني حرية الاجتماع، وحرية الإضراب، وحرية الصحافة، وحرية تنظم العناصر الشيوعية في كامل الصين، بوجه عام والعمال بوجه خاص. وهذا ما يمثل الميزة والأهمية القصوى للجيش الثوري في الصين.

في ما مضى، في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تندلع الثورات، عموما، بانتفاضة الشعب، في أغلب الأحيان غير مسلحة أو ضعيفة التسلح، وتدخل في صدام مع جيش النظام القديم وتحاول الخط من معنوياته أو كسب جزء منه إلى جانبه. ذلك هو الشكل التمودجي الذي كانت عليه المعامل الثورية في ما مضى. وذلك ما حدث هنا في روسيا عام 1905. لقد اتخذت الأمور مجرى مختلفا في الصين؛ فقد تصادم جيش الحكومة القديمة لا مع شعب أعزل، بل مع شعب مسلح في حياة جيشه الثوري. تحارب الثورة المسلحة في الصين جيش الثورة المضادة.

وذلك إحدى الخصائص المميزة للثورة الصينية وأحد فضائلها. وهنا تكمن الأهمية الخاصة للجيش الثوري في الصين.

لذا، فإنّ الانتقاص من أهمية الجيش الثوري هو من النقائص غير المقبولة في الأطروحات.

لكن ما ينبج عن ذلك هو أنّ على الشيوعيين في الصين أن يولوا العمل في الجيش أهمية خاصة.

في المقام الأول، يجب على الشيوعيين أن يقوّوا عملهم السياسي في الجيش من جميع التواحي، وأن يضمنوا أن يصبح الجيش قناة ونموذجا لأفكار الثورة الصينية. وذلك ضروري على نحو خاص لأنّ مختلف ضروب الجبرالات، الذي ليس بينهم والكيومنتانغ من أمر مشترك، يحاولون الالتحاق بحكومة كانتون، من جهة أنّها قوّة يتسلّل إليها أعداء الشعب الصيني، وإذ يلتحقون بها فإنهم يخلّون تفسّخ الجيش. والطريقة الوحيدة لتحديد أولئك «الحلفاء» أو أن نجعل منهم أعضاء في الكيومنتانغ حقيقتين هي أن تقوي العمل السياسي وأن نقيم رقابة ثورية عليهم. فلن يكون الجيش إلّا في وضع صعب جدّا إذا لم ينجز ذلك.

في المقام الثاني، يجب على الثوريين الصينيين بما فيهم الشيوعيين أن يخرطوا في دراسة عميقة لفنّ الحرب. فلا يجب عليهم أن يعتبروها أمرا ثانويّا، لأنّه عامل رئيسي في الثورة الصينية. يجب على الثوريين الصينيين وبالتالي على الشيوعيين أيضا أن يدرسوا فنّ الحرب حتّى يصلوا تدريجيّا إلى الصدارة ويكتسبوا مختلف مراكز القيادة في الجيش الثوري. إنّ ذلك هو ضمانة أن يسير الجيش الثوري الصيني في الطريق القويم، صوب هدفه مباشرة. فلن تكون هناك إلّا تأرجحات وتردّدات في الجيش إذا لم ينجز ذلك ❁

4. طابع الحكومة المقبلة في الصين

تتعلق ملاحظتي الثالثة بواقع أن الأطروحات لا تقول شيئاً، أو لا تقول بما فيه الكفاية، عن طابع الحكومة المقبلة الثوري في الصين. يقترَب ميف من الموضوع في أطروحته على حسابه. ولما اقترب منه أصبح خائفاً لسبب معين ولم يتجرأ على الانتهاء بالقضية إلى نتائجها. يرى ميف أن الحكومة الثورية المقبلة في الصين ستكون حكومة البرجوازية الصغيرة الثورية تحت قيادة الطبقة العاملة. فماذا يعني ذلك؟ في زمن ثورة شباط عام 1917، كان المناشفة والاشتراكيون الثوريون كذلك أحزاباً برجوازية وبرجوازية صغيرة ثورية بقدر معين. فهل يعني ذلك أن الحكومة الثورية المقبلة في الصين ستكون اشتراكية-ثورية-منشفية؟ لا. لن تكون كذلك. لماذا؟ لأن حكومة الاشتراكيين الثوريين والمناشفة هي في الواقع حكومة إمبريالية، في حين لا يمكن للحكومة الثورية المقبلة في الصين أن تكون إلا حكومة معادية للإمبريالية. والاختلاف هنا رئيسي. لقد كانت حكومة ماك دونالد «عملية»، لكنها رغم ذلك حكومة إمبريالية لأنها تركز على الحفاظ على المهمة الإمبريالية البريطانية في الهند ومصر مثلاً. وإذا ما قارنا حكومة ماك دونالد بالحكومة الثورية المقبلة في الصين وجدنا أن لهذه الأخيرة الفضل في أنها حكومة معادية للإمبريالية. فلا يمكن الأمر في طابع حكومة كانتون الديمقراطية البرجوازي التي هي جنين الحكومة الثورية المقبلة لكامل الصين، فحسب، بل أيضاً، وقبل كل شيء، في أن لا يمكن أن تكون إلا حكومة معادية للإمبريالية، وأن كل تقدم تحرزه هو بمثابة ضربة قوية لعالم الإمبريالية، وبالتالي، ضربة لصالح الحركة الثورية العالمية.

لقد كان لينين على حق عندما قال أنه في ما مضى، قبل حلول عصر الثورة العالمية، كانت حركة التحرر الوطني جزءاً من الحركة الديمقراطية العامة. والآن، بعد انتصار الثورة السوفيتية في روسيا، وحلول عصر الثورة العالمية، أصبحت حركة التحرر الوطني جزءاً من الثورة العالمية.

لم يأخذ ميف هذه الخاصية المميزة بعين الاعتبار. أعتقد أن طابع الحكومة الثورية المقبلة في الصين سيكون، عموماً، مشابهاً لما كنا تحدثنا عنه في بلدنا عام

1905، إتمها حكومة بمثابة دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية، مع اختلاف يقوم في أتمها ستكون، قبل كل شيء، حكومة معادية للإمبريالية.

ستكون حكومة انتقال إلى تطوّر غير رأسمالي، أو بتعبير أصحّ، إلى تطوّر اشتراكي في الصين. ذلك هو الاتجاه الذي يجب أن تسير فيه الثورة في الصين. إنّ هذا المجرى في تطوّر الثورة تسهله ثلاثة عوامل: أولاً. لما كانت الثورة الصينية ثورة تحرر وطني فإنها ستسير ضدّ الإمبريالية وأعوانها في الصين؛ ثانياً. لما كانت البرجوازية الوطنية الكبيرة الصينية ضعيفة، وأضعف مما كانت عليه البرجوازية الوطنية الروسية في فترة 1905، فإنّ ذلك يسهل هيمنة الطبقة العمالية وقيادة الحزب للفلاحين؛ ثالثاً. أنّ الثورة في الصين ستنتوّر في ظروف تمكّنها من استغلال تجربة وعون الثورة المضطّرة في الاتحاد السوفييتي. إنّ بلوغ هذا المجرى التّجّاح التّام والمؤكّد ستحدده عوامل عديدة.

لكنّ الأمر الواضح هو أنّ التّضال في سبيل هذا الطريق للثورة الصينية، على وجه التّحديد، هو مهمّة الشيوعيين الصينيين الأساسيّة.

ومن هنا تبرز مهمّة الشيوعيين الصينيين فيما يتعلّق بموقفهم من الكيومنتانغ والحكومة الثورية المقبلة في الصين. لقد قيل أنّ على الشيوعيين الصينيين أن ينسحبوا من الكيومنتانغ. أمّا الرفاق سيكون ذلك خطأً. سيكون انسحاب الشيوعيين الصينيين من الكيومنتانغ في الوقت الزاهن خطأً كبيراً. فكامل مجرى الثورة الصينية وطابعها وآفاقها، تدعّم، دون شكّ، بقاء الشيوعيين الصينيين في الكيومنتانغ وتقوية عملهم فيه.

لكن هل يمكن للحزب الشيوعي الصيني أن يشارك في الحكومة الثورية المقبلة؟ لا فقط يستطيع ذلك فحسب، بل يجب عليه ذلك. فمجرى الثورة الصينية وطابعها وآفاقها تدعّم مشاركة الحزب الشيوعي الصيني في الحكومة الثورية المقبلة في الصين. إنّ في ذلك تكمن إحدى الضمانات الجوهرية لخلق فعلي لهيمنة الطبقة العمالية الصينية ❁

5. القضية الفلاحية في الصين

تتعلق ملاحظتي الرابعة بالقضية الفلاحية في الصين. يعتقد ميف أنّ من الواجب الشروع مباشرة في تطبيق شعار تأليف السوفييتات ومن ذلك سوفييتات الفلاحين في الزيف الصيني. أرى أنّ ميف يسير كثيرا جدًا إلى الأمام.

لا يمكننا أن نألف سوفييتات في الزيف متجنبين ذلك في المراكز الصناعية في الصين. لكنّ تأليف سوفييتات في المراكز الصناعية في الصين ليس شعار مباشرًا في الوقت الحاضر. ويجب أن لا يغيب عن الذهن أنّه لا يمكن تقدير السوفييتات خارج الوضع الذي يحيطها. فلا يمكن تنظيم السوفييتات، والحالة هنا سوفييتات الفلاحين، فإذا لم تكن الصين في مرحلة أوج حركة فلاحية تحطم نظام الأمور القديم وتبني سلطة جديدة، آخذين في الحسبان أنّ المراكز الصناعية في الصين كانت قد تجرّت الحاجر ودخلت مرحلة تركيز سلطة السوفييتات.

هل يمكننا القول أنّ الفلاحين الصينيين والثورة الصينية عموماً قد دخلوا، بعد، هذه المرحلة؟ كلاً، لا يمكننا ذلك. فالحديث عن السوفييتات الآن إنّما هو جري إلى بعيد جدًا، في حين أنّ القضية التي يجب طرحها اليوم ليست السوفييتات بل تأليف لجان الفلاحين.

إنّ الصورة التي أراها هي لجان فلاحية ينتخبها الفلاحون، قادرة على صياغة مطالب الفلاحين الأساسية، وتتخذ كلّ الإجراءات لضمان تحقيق تلك المطالب بطريقة ثورية. ويجب أن تكون هذه اللجان بمثابة محور تطوّر الثورة في الزيف.

أعلم أنّ هنالك أعضاء من الكيومينتانغ وحتى شيوعيين لا يرون أن من الممكن اندلاع الثورة في الأرياف لأنهم يخشون أنّه إذا ما انخرط الفلاحون في الثورة فإنّهم سوف يجعلون وحدة الجبهة المعادية للإمبريالية تضطرب. أيّها الرفاق، هذا خطأ كبير. فكلّما كان انخراط الفلاحين الصينيين في الثورة أسرع وأوسع، كانت الجبهة المعادية للإمبريالية في الصين أصلب وأقوى. إنّ مؤلّفي الأطروحات، وخاصة تانغ بينغ-شان، على صواب تامّ عندما ساندوا فكرة أنّ تلبية فورية لعدد معين من

المطالب الأكثر إلحاحاً عند الفلاحين هي شرط جوهرى لانتصار الثورة في الصين. وأعتقد أنّ الوقت قد حان لكسر هذا الجمود و«الحياض» نحو الفلاحين الذي نلاحظه عند في عمل بعض عناصر الكيومينتانغ. أعتقد أنّه يجب على كلّ من الحزب الشيوعي الصيني والكيومينتانغ، وبالتالي حكومة كانتون، الانتقال من الأقوال إلى الأفعال دون تأخر، وأن يطرحا قضية تلبية مطالب الفلاحين الأكثر حيوية.

ما يمكن أن يكون لذلك من آفاق ومدى فذلك سيحدده مجرى الثورة. وأعتقد أنّه يجب المضي في القضايا بعيدة المدى إلى أبعد من تأمين الأرض. وفي جميع الأحوال، لا يجب أن نتخلّى عن شعار مثل شعار تأمين الأرض.

ما هي الطرق والوسائل التي يجب على الثوريين الصينيين أن يتخذوها لإنهاض جماهير الفلاحين الصينيين الواسعة للثورة.

أعتقد أنّه يمكننا أن نتحدّث عن ثلاث طرق في الظروف المعيّنة.

الطريقة الأولى هي تأليف اللجان الفلاحية ومن داخلها يقوم الثوريون الصينيون بالتأثير في الفلاحين. (صوت يهتف: «ماذا عن الجمعيات الفلاحية؟»). أعتقد أنّ الجمعيات الفلاحية ستنتجّ حول اللجان الفلاحية أو تتحوّل إلى لجان فلاحية تتمتع بكلّ التدابير الحكومية الضرورية لتحقيق المطالب الفلاحية. لقد تحدّثت عن هذه الطريقة. لكنّها طريقة غير كافية. فمن السّذاجة أن يذهب في اعتقادنا أنّه يوجد في الصين ما يكفي من الثوريين لهذه المهمة. إنّ في الصين قرابة 400 مليون ساكن، منهم قرابة 350 مليون صيني أكثر من تسعة أعشارهم فلاحون. فإنّ أيّ شخص يعتقد أنّ بضعة عشرات الآلاف من الثوريين الصينيين يمكنهم أن يشملوا هذا المحيط من الفلاحين إنّما هو مخطئ. وبالتالي فإنّ وسائل إضافية إنّما هي ضرورية.

الطريقة الثانية هي التأثير في الفلاحين من خلال الحكومة الشعبية الثورية الجديدة. فما لا شكّ فيه أنّه ستتركّز في الأقاليم التي ستحرّر حكومة جديدة،

حكومة من طراز حكومة كاتون. ومّا لا شكّ فيه أنّه يجب على تلك الحكومة وجمهازا التّركيز على موضوع تلبية مطالب الفلاحين الأكثر إلحاحا إذا ما أرادت حقّا أن تتقدّم الثورة. لذا، فإنّ مهمّة الشيوعيين والثوريين عموما هي أن يخرطوا في جمهاز الحكومة الجديدة حتّى تكون تلك الحكومة قريبة من جماهير الفلاحين ومن خلالها يساعدوا الفلاحين على ضمان تلبية مطالبهم الملحة إمّا بانتزاع أراضي المالكين العقاريين أو تقليص الجباية والتّرع حسب الطّروف.

الطريقة الثالثة هي التّأثير في الفلاحين من خلال الجيش الثوري. لقد كنت تحدّث عن أهمية الجيش الثوري الكبيرة في الثورة الصّينية. فالجيش الثوري هو أوّل قوّة ستدخل الأقاليم الجديدة، وسيتمّ، أوّلا، بمناطق فلاحية كنيهة السكّان، وبالتالي سيتمّ بكلّ ما يكون نظرة الفلاح للحكومة الجديدة وما لها سمات جيّدة أو سيّئة. فالأمر يتوقّف، أساسا، على سلوك الجيش الثوري، وموقفه من الفلاحين ومن المالكين العقاريين، وقدرته على مساعدة الفلاحين؛ وعلى ما سيكون عليه موقف الفلاحين من الحكومة الجديدة الكيومنتانغ، ومن الثورة الصّينية عموما. فإن لم نس أنّ هناك عددا لا بأس به من العناصر المتشككة التحقت بالجيش الثوري في الصّين والتي يمكنها أن تغيّر لون الجيش نحو الأسوأ، فسيكون معلوما كم أنّ أهمية اللّون السياسي للجيش الثوري في الصّين وسياسته الفلاحية كبيرتان في عيون الفلاحين.

لذا، يجب على الشيوعيين والصّينيين والثوريين الصّينيين عموما أن يتّخذوا كلّ التدابير ليجعلوا العناصر المعادية للفلاحين داخل الجيش في موضع حياد حتّى يحافظوا على الزّوج الثورية عند الجيش، وحتّى يضمنوا أن يساعد الجيش الفلاحين ويهضهم للثورة.

قيل لنا أنّ الجيش الثوري مرخّب به في الصّين، لكن فيما بعد، عندما يحطّ رحاله تكون هنالك خيبة عامّة. إنّه نفس الأمر الذي حدث عندنا هنا في الاتّحاد السوفياتي أثناء الحرب الأهلية. وتفسيرها هو أنّه عندما يجرّ الجيش أقاليم جديدة ويحطّ رحاله فيها، يصبح هنالك، بمعنى معيّن، آخرين يقتاتون على حساب السكّان

المحلّتين. وقد استطعنا نحن الثوريين السوفييتيين، بوجه عام، أن نرّجح كفة تلك المساوئ ببدل الجهد بواسطة الجيش لمساعدة الفلاحين ضدّ المالكين العقاريين. فيجب على الثوريين الصينيين أيضا أن يعرفوا كيف يربّحوا كفة تلك المساوئ بوضع سياسة فلاحية صحيحة للجيش ❁

6. الطبقة العمالية وهيمتها في الصين

تتعلّق ملاحظتي الخامسة بالطبقة العمالية الصينية. أعتقد أنّ الأطروحات لم تؤكّد، بما فيه الكفاية، على دور الطبقة العمالية في الصين وأهميتها. إنّ السؤال الذي يطرحه رافس أيّ جهة يجب على الشيوعيين الصينيين أنفسهم أن يتجهوا إليها أهي يسار الكيومنتانغ أم وسطه؟ هو سؤال غريب. إذ أعتقد أنّ على الشيوعيين الصينيين أن يتجهوا إلى الطبقة العمالية قبل كلّ شيء، وأن يدفّعوا قادة حركة التحرّر الصيني نحو الثورة. فنك هي الطريقة الصحيحة لطرح القضية. أعلم أنّ هناك من بين الشيوعيين الصينيين رفاقا لا يقبلون إضرابات العمال لتحسين ظروفهم المادية ووضعهم القانوني، ويمنعون العمال عن القيام بالإضراب. (صوت يهتف: «حدث ذلك في كانتون وشنغهاي»). أيها الرفاق، ذلك خطأ كبير.

إنّ ذلك استنقاص خطير من دور الطبقة العمالية الصينية وأهميتها. ويجب أن نعتبر ما في الأطروحات من ذلك القليل بمثابة الأمر المدان بصرامة. وسيكون خطأ كبيرا إذا لم يستغلّ الشيوعيون الصينيون الوضع الحالي الملائم ليساعدوا العمال على تحسين أوضاعهم المادية والقانونية حتّى بالإضراب. إذن، لم تصلح الثورة إن لم تكن لذلك؟ لا يمكن للطبقة العمالية أن تكون قوّة عظيمة إذا كان أبنؤها يعاقبهم ويعدّهم أعوان الإمبريالية أثناء الإضرابات. ويجب أن يتوقّف إذلال القرون الوسطى ممّا كان الثمن حتّى يقوى شعور القوّة والكرامة عند العمال الصينيين حتّى يصبحوا قادرين على قيادة الحركة الثورية. وبدون هذا لا يمكن تصوّر انتصار الثورة في الصين. وبالتالي يجب أن تأخذ مطالب الطبقة العمالية الصينية، الاقتصادية والقانونية، التي تهدف إلى تحسين ظروفها تحسينا ملموسا، حيّزا خاصا في

الأطروحات. (ميف: «ذلك مذكور في الأطروحات»). نعم. ذلك مذكور في الأطروحات، لكن للأسف، هذه المطالب نالت حيزًا غير كافٍ ❁

7. قضية الشباب في الصين

تتعلق ملاحظتي السادسة بقضية الشباب في الصين. إنه لمن الغريب أن لا تأخذ هذه القضية بعين الاعتبار في الأطروحات، رغم أنّ لها الآن أكبر أهمية في الصين. لقد تناول تقارير تانغ بانغ-شان* هذه القضية، لكنه للأسف، لا يولها الأهمية الكافية. إنّ لقضية الشباب اليوم في الصين الأهمية الأولية. الشباب الطلابي (الطلبة الثوريون)، والشباب العالمي، والشباب الفلاحي – كلّها تكون قوّة يمكنها أن تتقدّم بالتّورة بخطى عملاقة إذا ما انسأقت لتأثير الكيومنتانغ الإيديولوجي والسياسي. فيجب أن لا يغيب عن الدّهن أنّ ما من أحد يعاني من الاضطهاد الإمبريالي بأكثر عمق واتّساعاً، وما من أحد يملك وعياً حاداً وأليماً للتضال ضدّه ممّا للشباب الصيني. فيجب على الحزب الشيوعي الصيني والثوريين الصينيين أن يأخذوا هذه التّاحية بكامل عين الاعتبار، وأن يقوّوا عملهم بين الشباب إلى أقصى حدّ. يجب أن تكون للشباب منزلته في الأطروحات المتعلقة بالقضية الصينيّة ❁

8. بعض الاستنتاجات

أريد أن أتحدّث في بعض الاستنتاجات في ما يتعلّق بالتضال ضدّ الإمبريالية في الصين، وفي ما يخصّ المسألة الفلاحية. فمما لا شكّ فيه أنّ الحزب الشيوعي الصيني لا يمكنه اليوم أن يقتصر على المطالبة بإسقاط الاتفاقيات الجائرة. فذلك مطلب يؤكّده اليوم واقع التّورة المضادّة وعلى رأسها شانغ هساي-ليانغ. ومن البديهي أن يذهب الحزب الشيوعي الصيني إلى أبعد من ذلك.

فمن الصّوروي، من جملة أمور أخرى، أن يأمم سكك الحديد. ذلك ضروري، ويجب أن ينجز. ومن الصّوروي، من جملة أمور أخرى، أن يكون في البال أفق تأميم أكبر المعامل والمصانع. وفي هذا السياق، يتصدّر تأميم تلك المؤسسات التي

يناسب مالكوها عداء صريحاً وعنيفاً للشعب الصيني. كما من الضروري أن تعطى أولوية للقضية الفلاحية في صلة بأفاق الثورة في الصين. فما أعتقد أنه من الواجب القيام به على المدى البعيد هو حجز أراضي المالكين العقاريين لصالح الفلاحين وتأميم الأرض. وما بقي سيكون بديهيًا.

أيها الرفاق، تلك هي الملاحظات التي أردت تقديمها ❁

المصدر المعتمد في الترجمة:

THE PROSPECTS OF THE REVOLUTION IN CHINA

Speech Delivered in the Chinese Commission of the

E.C.C.I., November 30, 1926

Stalin: Works, Vol. 8, p. 373-391.

Foreign Languages Publishing House

Moscow, 1954

فضايا الثورة الصّينيّة

أطروحات للدّعاية، أقرتها اللّجنة المركزيّة للحزب الشيوعي البلّشي في
الاتّحاد السّوفيتي، 21 نيسان 1927

1. آفاق الثّورة الصّينيّة

العوامل الأساسيّة التي تحدّد طابع الثّورة الصّينيّة هي:

- أ. وضع الصّين كشيبة مستعمرة وهمينة الإمبرياليّة عليها ماليا واقتصاديًا؛
 - ب. ما تمارسه بقايا الإقطاع من اضطهاد واشتداده بما تمارسه العسكريّة والبيروقراطيّة من اضطهاد؛
 - ت. التّضال الثّوري العظيم الذي تخوضه جماهير العمال والفلاحين الواسعة ضدّ الاضطهاد الإقطاعي والبيروقراطي وضدّ الإمبرياليّة؛
 - ث. ضعف البرجوازيّة الوطنيّة السّياسي وتبعيّتها للإمبرياليّة وخوفها من أن تزيجها الحركة الثّوريّة؛
 - ج. نشاط الطبقة العماليّة الثّوري العظيم وعلوّ هيبتها بين الجماهير الشّغيلة؛
 - ح. وجود دكتاتوريّة الطبقة العماليّة بجوار الصّين؛
- لذا، سيكون لتطوّر الأحداث في الصّين طريقان:
- إمّا أن تسحق البرجوازيّة الوطنيّة الطبقة العماليّة وتقيم اتّفاقا مع الإمبرياليّة وتشنّ معها حملة على الثّورة لتضع لها حدًا بإرساء سلطة الرّأسماليّة؛

وإما أن تزيح الطبقة العالمة البرجوازية الوطنية عن طريقها وتقوي من هيمنتها وتأخذ على عاتقها قيادة الجماهير الواسعة من الشعب الشغل في المدينة وفي البلاد في سبيل هزم مقاومة البرجوازية الوطنية وضمان انتصار الثورة الديمقراطية البرجوازية انتصارا كاملا لتحويل هذه الثورة، تدريجيا، إلى ثورة اشتراكية بكل ما يترتب عن ذلك.

إن أزمة العالم الرأسمالي ووجود دكتاتوريات الطبقة العالمة في اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، التي يمكن استخدام تجربته بنجاح من جانب الطبقة العالمة الصينية، إنما يدفعان كثيرا إلى أن تسلك الثورة الصينية الطريق الثاني.

ومن ناحية أخرى، تضرب الإمبريالية الثورة الصينية، أساسا، بجهة متحدة. ولا يوجد الآن بين الإمبرياليين انشقاق وحروب، مثلما كان عليه حال المعسكر الإمبريالي قبل ثورة أكتوبر مما يسبب ضعف الإمبريالية؛ فهذا الواقع يشير إلى أن الثورة الصينية ستعترضها، في طريقها إلى النصر، صعوبات أكبر من تلك التي اعترضت ثورة أكتوبر وأن الانسحابات والحيلانات ستكون أكثر مما كان في الحرب الأهلية في اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بما لا يقاس.

لذا، فإن الصراع بين هذين الطريقين للثورة هو السمة المميزة للثورة الصينية. ولهذا السبب، على وجه التحديد، فإن مهمة الشيوعيين الأساسية هي الكفاح في سبيل انتصار الطريق الثاني في انتصار الثورة الصينية ❖

2. أولى مراحل الثورة الصينية

في أولى مراحل الثورة الصينية، زمن الحملة الأولى على الشمال، حيث كان الجيش الوطني يقترب من نهر يانغتسي وينجز النصر تلو النصر، لكن دون أن تكون قوة الحركة العالمة والفلاحية قد عظمت بعد، سايرت البرجوازية الوطنية (وليس الكبرادورية) الثورة.

لقد كانت ثورة كل الجبهة الوطنية المتحدة.

لا يعني ذلك أنه لم تكن هنالك تناقضات بين الثورة والبرجوازية الوطنية. فكل ما يعنيه ذلك أنّ البرجوازية الوطنية، إذ تساند الثورة، فإنّها تحاول أن تستغلّها لمصلحتها الخاصّة، وأن تحدّ من مداها خلال قيادتها لكامل مسار السيطرة على الأراضي. والصراع بين اليمينيين واليساريين في الكيومينتانغ هو مظهر تلك التناقضات في تلك المرحلة.

إنّ محاولة نشان كاي-تشيك طرد الشيوعيين من الكيومينتانغ كانت أول محاولة جدية من جانب البرجوازية الوطنية لمحاربة الثورة. وكما رأينا، كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد السوفيتي قد اعتبرت أنّ «على الخط أن يقوم على بقاء الحزب الشيوعي في الكيومينتانغ». وأنّ من الضروري أن «يتجه العمل نحو إما أن يستقيل اليمين من الكيومينتانغ أو يطرد منه» (نيسان 1926).

كان هذا الخطّ مما قاد إلى تعاظم تطوّر الثورة وتعاون متين بين اليساريين والشيوعيين في الكيومينتانغ وفي الحكومة الوطنية وتقوية وحدة الكيومينتانغ وفي ذات الوقت فضح اليمينيين في الكيومينتانغ وعزلهم وإجبارهم على الخضوع لانضباط الكيومينتانغ لاستغلال ما لهم من صلات وتجربة أو طردهم من الكيومينتانغ إن خرقوا انضباطه وخانوا مصالح الثورة.

لقد أكّدت الأحداث اللاحقة صحّة هذا الخطّ تأكيداً تاماً. فقد حدث تطوّر عظيم في الحركة الفلاحية وتنظيم الجمعيات الفلاحية ولجان الفلاحين في الأرياف، وموجة قوية من الإضرابات في المدن، وتأليف المجالس النقابية، وحملة الجيش الوطني المظفّرة على شنغهاي مما استدعى إرساء البواخر الحربية وإنزال الجيوش الإمبريالية - هذه الأحداث وأخرى مماثلة تشير إلى أنّ الخطّ المعتمد هو الخطّ الصحيح الوحيد.

وتفسّر هذه الحالة لوحدها أنّ سعي اليمينيين في شباط 1927 إلى تقسيم الكيومينتانغ وتركيز مركز جديد عوضاً عنه في نان شانغ قد فشل أمام ما أبداه الكيومينتانغ الثوري في ووهان من إجماع على مقاومتهم.

لكن تلك المحاولة كانت إشارة إلى أنه قد حدث في البلاد تجمع للقوى وأن اليمينيين والبرجوازية الوطنية لم يستسلموا وأنهم سيشددون من نشاطهم ضد الثورة.

لقد كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي على صواب عندما أعلنت في آذار 1927 أن:

«أ. في الوقت الحالي، وارتباطاً بتجمع القوى الطبقيّة وتمركز الجيوش الإمبريالية، تمرّ الثورة الصينيّة بمرحلة دقيقة، ولن تبلغ نجاحاتها المقبلة إلا إذا تبنت، بكلّ حزم، تطوير الحركة الجماهيرية؛

ب. من الضروري قبول عملية تسليح العمال والفلاحين وتحويل لجان الفلاحين الجهوية إلى أجهزة حقيقية للسلطة الحكومية مجهزة بسلاح الدفاع الثاني؛

ت. لا يجب على الحزب الشيوعي أن يغيظ الطرف عن سياسة الخيانة الرجعية عند يمين الكيومينتانغ، ويجب عليه أن يعبأ الجماهير حول الكيومينتانغ والحزب الشيوعي الصيني قصد فضح اليمينيين.» (3 آذار 1927)

إذن، سيكون من السهل أن نفهم أنّ سيل الثورة الجارف من جهة أولى، والعدوان الإمبريالي على شنغهاي من جهة ثانية، قد كانا في صلة بدفع البرجوازية الوطنية إلى معسكر الثورة المضادة مثلما كانت سيطرة الجيش الوطني على شنغهاي وإضرابات العمال فيها في صلة بتوحد الإمبرياليين لسحق الثورة....

وذلك ما حصل. فجزء نانكين هي بمثابة تمايز جديد في القوى المتناحرة في الصين. فبإمطار شنغهاي بالفنابل وتقديم أجل إنمّا يريد الإمبرياليون أن يبينوا أنّهم يسعون إلى تقديم العون للبرجوازية الوطنية قصد صراع مشترك ضدّ الثورة الصينيّة.

ومن ناحية أخرى، فتح تشان كاي-تشيك التار على اجتماعات العمال ونسج انقلاباً بمثابة الاستجابة لطلب الإمبرياليين، فكأنّ لسان حاله يقول أنّه جاهز ليعقد بينهم وبين البرجوازيين الوطنيين اتفاقاً ضدّ العمال والفلاحين الصينيين ❁

3. ثاني مراحل الثورة الصينية

مثل انقلاب تشان كاي-تشيك مغادرة البرجوازية الوطنية الثورة وبروز مركز مضادّ للثورة قومي وعقد اتفاق بين يمين الكيومينتانغ والإمبريالية ضدّ الثورة الصينية.

انقلاب تشان كاي-تشيك يعني أنّه قد أصبح في جنوب الصين معسكران وحكومتان وجيشان؛ مركزان: مركز الثورة في ووهان ومركز الثورة المضادّة في نانكين.

انقلاب تشان كاي-تشيك يعني أنّ الثورة قد دخلت ثاني مراحل تطوّرها وأنّ الاندفاع الذي كان قد بدأ بثورة كلّ الجبهة الوطنية المتحدة قد أصبح ثورة جماهير واسعة من العمال والفلاحين، أصبحت ثورة زراعية ستمكّن من تقوية التضال ضدّ الإمبريالية توسيعه وضدّ التلباء والأسياذ الإقطاعيين وضدّ العسكريين ومجموعة تشان كاي-تشيك المضادّة للثورة.

يعني ذلك أنّ الصراع بين طريقي الثورة؛ بين هذا الذي يسهّل تطوّرها وذاك الذي يسهّل تصفيتّها، سترداد حدّته يوماً بعد يوم، وسيلاً كامل المرحلة الحالية من الثورة.

يعني ذلك أنّ الكيومينتانغ الثوري في ووهان سيصبح فعلاً جهازاً دكتاتورياً العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية إذا ما خاض نضالاً حازماً ضدّ العسكرية والإمبريالية. أمّا مجموعة تشان كاي-تشيك المضادّة للثورة في نانكين فطالما أنّها تقطع صلتها بالعمال والفلاحين وتتقرّب من الإمبريالية، ستؤول إلى ذات مصير العسكريين.

لكن ينتج عن ذلك أنّ سياسة الحفاظ على وحدة الكيومينتانغ؛ سياسة عزل اليمينيين داخل الكيومينتانغ واستخدامهم لأهداف الثورة، لا تناسب المهات الجديدة للثورة ويجب استبدالها بسياسة حازمة لطرد يمين الكيومينتانغ، بسياسة حازمة ضد اليمينيين حتى يقع التغلب عليهم سياسيًا بصورة تامة، بسياسة تركز كل قوة البلاد في أيدي كيومينتانغ ثوري، كيومينتانغ ثوري من دون عناصره اليمينية، كيومينتانغ ككتل من يسار الكيومينتانغ والشيوخيين.

كما ينتج عن ذلك أيضا أنّ سياسة التعاون المتين بين اليساريين والشيوخيين في الكيومينتانغ، التي أكنسى أهمية ومغزى خاصين في هذه المرحلة، تعكس التحالف بين العمال والفلاحين الذي يتشكل خارج الكيومينتانغ، ومن دون مثل ذلك التعاون يستحيل انتصار الثورة.

كما ينتج عن ذلك أيضا أنّ المصدر الأساسي لقوة الكيومينتانغ الثورية يكمن في مواصلة تطوّر حركة العمال والفلاحين الثورية وفي تقوية منظماتها الجماهيرية - لجان الفلاحين الثورية، نقابات العمال، وغيرها من المنظمات الجماهيرية الثورية - من جهة أمّا عناصر تحضيرية للسوفييتات المقبلة، وفي أنّ الضمانة الرئيسية لانتصار الثورة هي عمق النشاط الثوري عند أوسع الجماهير من الشعب الشغيل، وفي أنّ المصل المضاد للثورة المضادة هو تسليح العمال والفلاحين.

كما ينتج عن ذلك أخيرا أنّ على الحزب الشيوعي، إلى جانب نضاله في صفوف الكيومينتانغ الثوري نفسه، أن يحافظ على استقلاليته أكثر من أي وقت مضى، من جهة أمّا شرط جوهرى لضمان هيمنة الطبقة العمالية على الثورة البرجوازية الديمقراطية ❖

4. أخطاء المعارضة

الخطأ الأساسي عند المعارضة (راديك وشركاؤه) أنّها لا تفهم طابع الثورة في الصين والمرحلة التي تجتازها وإطارها العالمي الحالي.

تطالب المعارضة بأن تتطور الثورة الصينية بنفس الوتيرة التي تطوّرت بها ثورة أكتوبر تقريبا. والمعارضة غير راضية لأنّ عمال شنغهاي لم يخوضوا معركة فاصلة ضدّ الإمبرياليين وأعدائهم.

لكنّ المعارضة لا تفهم أنّ الثورة في الصين لا يمكنها أن تتطوّر بوتيرة سريعة بسبب أنّ الوضع العالمي الحالي هو أقلّ ملائمة ممّا كان عليه عام 1917 (ليس الإمبرياليون في حالة حرب فيما بينهم).

إنّها لا تفهم أنّ المعركة الفاصلة لا يمكن أن تكون في ظروف غير ملائمة؛ حين يكون الاحتياطي غير جاهز مثلما هو حال البلاشفة فلم تكن معركتهم فاصلة في نيسان وآب من عام 1917.

لا تأخذ المعارضة بالحسبان أنّه إذا لم تنفادى معركة فاصلة في ظروف غير ملائمة (عندما يكون من الممكن تفاديها) إنّما يعني جعل الأمور أسهل على أعداء الثورة.

تطالب المعارضة بتأليف سوفياتيات نواب العمال والفلاحين والجنود في الصين فورا. لكن ماذا نعني بتأليف السوفياتيات؟

في المقام الأوّل، لا يمكن تأليفها في أيّ وقت نرغب. فلا تتألّف إلاّ خلال موجة عالية على نحو خاصّ خلال سير الثورة.

وفي المقام ثاني، وإذا ما أردنا قولاً جيّداً، لا تتألّف السوفياتيات، أساساً، إلاّ كأجهزة نضال ضدّ السلطة القائمة، كأجهزة نضال في سبيل السلطة. ولقد كان الحال كذلك عام 1905. تماماً مثلما كان الحال في عام 1917.

لكن ماذا يعني تأليف السوفياتيات من الجهة العملية في الوقت الحالي، مثلاً حكومة ووهان؟

يعني ذلك في هذا المجال رفع شعار التضال ضدّ السلطة القائمة. ويعني ذلك رفع شعار تأليف أجهزة سلطة جديدة؛ شعار التضال ضدّ سلطة الكيومينتانغ الثوري

الذي يضمّ شيوعيين يعملون في تكتل مع يسار الكيومينتانغ؛ ضدّ ما من سلطة أخرى قائمة في المنطقة سوى سلطة الكيومينتانغ الثوري.

ويعني أيضا أن نخلط بين مهمّة تأليف وتقوية منظمات العمال والفلاحين الجماهيرية - على هيئة لجان الإضراب، التعاويّات الفلاحية، لجان الفلاحين، المجالس النقابية، لجان المصانع، الخ. - التي يستند عليها الكيومينتانغ الثوري، بمهمّة تركيز نظام سوفيتي من جهة أنّه نوع من سلطة الدولة جديد محلّ قوّة الكيومينتانغ الثوري.

ويعني أخيرا عجز عن فهم ما المرحلة التي تجتاز الثورة حاليا في الصين. إنّ ذلك يعني أن تضع في أيدي أعداء الشعب الصيني سلاحا جديدا ضدّ الثورة وهو تمكينهم من نشر أساطير جديدة مفادها أنّ ما يحدث في الصين ليس ثورة وطنية بل زرع «سوفيت موسكو» اصطناعيا. لذا، عندما ترفع المعارضة شعار تأليف السوفييتات في الوقت الحالي، فإنّها هي تلعب بين أيدي أعداء الثورة الصينية.

تعتقد المعارضة أنّ من غير المناسب أن يشارك الحزب الشيوعي في الكيومينتانغ. لكن ماذا يعني أن ينسحب الشيوعيون من الكيومينتانغ الآن في الوقت الذي تطالب فيه كلّ العصاة الإمبريالية وأعوانها بطرد الشيوعيين من الكيومينتانغ؟ يعني ذلك مغادرة معسكر المعركة والتخلّي عن حلفائهم في الكيومينتانغ لإسعاد أعداء الثورة. إنّ ذلك يعني إضعاف الحزب الشيوعي وعرقة الكيومينتانغ الثوري بتسهيل عمل الكافينياكيين في شنغهاي وتسليم راية الكيومينتانغ، وهي أكثر الزايات شعبية، إلى يمين الكيومينتانغ.

ذلك ما يطلبه، على وجه التحديد، الإمبرياليون والعسكريون ويمين الكيومينتانغ الآن.

إذن، ينتج عن ذلك أنّ المعارضة بإعلانها عن انسحاب الحزب الشيوعي من الكيومينتانغ في الوقت الحالي إنّما هي تلعب في أيدي أعداء الثورة الصينية. إنّ

الاجتماع الأخير للجنة حزينا المركزية كانت إذن قد تصرفت بصحة كاملة عندما
رفضت أرضية المعارضة رفضا صارما ❁

المصدر المعتمد في الترجمة:

QUESTIONS OF THE CHINESE REVOLUTION

*Theses for Propagandists, Approved by the C.C.,
C.P.S.U.(B.)*

J. Stalin: Works, Vol. 9, p. 224-234

Foreign Languages Publishing House

Moscow, 1954

حديث مع طالبة جامعة صن يان صن

موسكو، 13 أيار 1927

أيها الرفاق، للأسف، لا أستطيع أن أخصّص إلا اثنتين أو ثلاث ساعات لنقاش اليوم. ورتبنا، في المرة القادمة، نقوم بترتيب أطول محادثة. اليوم، في اعتقادي، قد تقتصر على دراسة الأسئلة التي كانت قد قدّمت للكتابة. لقد حصلت على عشرة أسئلة في كلّ شيء. سأجيب عليها في نقاش اليوم. إن كانت هناك أسئلة إضافية، وقيل لي هناك، سأحاول أن أجيب عنها في حديثنا المقبل. حسنا. دعونا نكسب على العمل.

السؤال 1. «لماذا يخطئ راديك عندما يؤكد أن نضال الفلاحين في الريف الصيني موجه ضدّ بقايا الإقطاع أكثر بكثير مما هو موجه ضدّ البرجوازية؟»

ما الذي يمكن تأكيد سيادته في الصين: الرأسمالية التجارية أم بقايا الإقطاع؟ لماذا يمثل العسكريون الصينيون الإقطاع وفي ذات الوقت هم أصحاب مؤسسات صناعية كبرى؟»

في الواقع، لا يؤكد راديك شيئا من قبيل ما ورد في هذا السؤال. ما أتذكره هو أنّ ما قاله في كلمته أمام نشطاء منظمة موسكو، إمّا ينفي تماما وجود بقايا الإقطاع في الريف الصيني، أو لا يوليها أهمية كبيرة. بالطبع، هذا خطأ فادح عند راديك.

فلو لم تكن هناك بقايا إقطاعية في الصين، أو لم تكن ذات أهمية كبيرة جدّا بالنسبة للريف الصيني، لما كانت هناك أرضية لقيام الثورة الزراعية، ولما كانت

هناك حاجة للحديث عن الثورة الزراعيّة من جهة أنّها إحدى أهمّ محمات الحزب الشيوعي في المرحلة الراهنة من الثورة الصينيّة.

هل يوجد رأس مال تجاري في التريف الصيني؟

نعم، موجود. وليس موجودا فحسب، بل يمتصّ دم الفلاحين بقدر لا يقلّ عمّا يقوم به السيّد الإقطاعي. لكن رأس المال التجاري هذا، وهو من النوع بدائيّ التّراكم، يمتزج على نحو غير طبيعي، في التريف الصيني، بهيمنة السيّد الإقطاعي والمالك العقّاري، ويعتمد أساليب هذين الأخيرين، أساليب القرون الوسطى، في استغلال الفلاحين واضطهادهم. ذلك هو بيت القصيد، أيّها الرفاق.

خطأ راديك هو أنه لم يستوعب هذه الخاصيّة، هذا المزيج من هيمنة بقايا الإقطاع ووجود رأس المال التجاري في التريف الصيني، إلى جانب الحفاظ على الأساليب الإقطاعيّة من القرون الوسطى في استغلال الفلاحين واضطهادهم.

تشكّل العسكريّة والتوشان وكلّ أنواع الحكام وكامل البيروقراطيّة الحاليّة القاسية والجشعة، عسكريّة وغير عسكريّة، بنية فوقيّة لهذه الخاصيّة المميّزة في الصين.

تدعم الإمبرياليّة كامل هذه الآلة البيروقراطيّة الإقطاعيّة وتعزّزها.

فواقع أنّ بعض العسكريّين مالكي العقّارات هم في ذات الوقت أصحاب مؤسسات صناعيّة لا يغيّر شيئا في الأمر. لقد كان الكثير من المالكين العقّاريّين التروس، أيضا، يملكون في ذات الوقت معامل ومؤسسات صناعيّة أخرى ولم يمنعهم ذلك من أن يكونوا ممثلي بقايا الإقطاع.

إذا كان، في عدد من المناطق، 70 في المائة من أرباح الفلاحين ينتقل إلى التّبلاء والمالكين العقّاريّين، وإذا كان المالك العقّاري يملك حاليّا سلطة في الاقتصاد والإدارة والقضاء، وإذا كان شراء النساء والأطفال ويبيعهم لا يزال يمارس في عدد من الأقاليم، وجب علينا أن نعترف بأنّ السّلطة المهجّنة في هذه الحالة هي سلطة

بقايا الإقطاع، سلطة المالكين العقّارين، والبيروقراطية عسكرية وغير عسكرية، من خلال مزج خاص بسلطة رأس المال التجاري.

إنّما هذه الشروط الخصوصية هي التي تخلق أرضية حركة الفلاحين الزراعيّة في الصين، تلك الحركة التي لا تنفك تتطوّر، وستعظم.

في حال غياب هذه الشروط، في حال عدم وجود بقايا الإقطاع والقمع الإقطاعي، لن يكون هنالك حديث عن الثورة الزراعيّة في الصين وعن مصادر أراضي المالكين العقّارين، وما إلى ذلك.

في حال غياب هذه الشروط لن تكون الثورة الزراعيّة في الصين أمرا مفهوما.

السؤال 2. «لماذا يخطئ راديك عندما يؤكّد أنّه لمّا كان الماركسيّون لا يعترفون بإمكانية قيام حزب على أساس طبقات مختلفة، فإنّ الكيومينتانغ هو حزب برجوازي صغير؟» يستدعي هذا السؤال بعض الملاحظات.

أولا. تطرح هذه القضية على نحو غير صحيح. نحن لم نقل أبدا، وما من أحد قال، أنّ الكيومينتانغ حزب طبقات مختلفة. هذا ليس صحيحا. لقد قلنا دائما أنّ الكيومينتانغ حزب تكتل طبقات مضطّدة مختلفة. ليس الأمران نفس الشيء، أيّها الرّفاق. فإذا كان الكيومينتانغ حزب طبقات مختلفة، فألا يعني ذلك أنّ ولا واحدة من الطبقات المرتبطة بالكيومينتانغ سيكون لها حزبا الخاص خارج الكيومينتانغ، وأنّ الكيومينتانغ نفسه سيكون حزبا وحيدا ومشاركا بين جميع تلك الطبقات؟ لكن ما هو الوضع في الواقع؟

أليس للطبقة العماليّة الصينيّة المرتبطة بالكيومينتانغ، حزبا المستقلّ الخاص بها: الحزب الشيوعي؛ التي يمتاز عن الكيومينتانغ وله برنامجه الخاص به ومنظّمته الخاصّة به؟ فمن الواضح أنّ الكيومينتانغ ليس حزب طبقات مضطّدة مختلفة، وإنّما هو حزب تكتل طبقات مضطّدة لها ما يقابلها من منظمات حزبيّة خاصّة. وبالتالي،

تطرح هذه القضية على نحو غير صحيح. في الواقع، في الوقت الحالي في الصين، يمكن النظر إلى الكيومينتانغ فقط على أنه حزب تكتل طبقات مضطهدة.

ثانياً. ليس صحيحاً أن الماركسيّة لا تعترف، من جهة المبدأ، بإمكانية قيام حزب تكتل طبقات مضطهدة وثورية، وأنه لا يجوز من جهة المبدأ أن ينخرط الماركسيّون في حزب من هذا القبيل. أيها الرفاق، هذا غير صحيح مطلقاً. في الواقع، لا فقط تعترف الماركسيّة (وستواصل الاعتراف) بجواز، من جهة المبدأ، بأن ينخرط الماركسيّون في حزب من ذلك القبيل، بل وضعت ذلك المبدأ موضع التطبيق العملي في ظروف تاريخية محدّدة. وأود أن أشير إلى مثال ماركس نفسه عام 1848، زمن الثورة الألمانية، عندما انضمّ هو وأنصاره إلى الرابطة الديمقراطيّة البرجوازيّة في ألمانيا وتعاون فيها مع ممثلي البرجوازيّة الثوريّة. ومن المعروف أن هذه الرابطة البرجوازيّة الديمقراطيّة، هذا الحزب البرجوازي الثوري، كان قد ضمّ، إلى جانب الماركسيّين، ممثلين عن البرجوازيّة الثوريّة. وكان ماركس، آنذاك، رئيس تحرير المجلّة الرينانيّة الجديدة لسان حال الرابطة الديمقراطيّة البرجوازيّة. فقط في ربيع 1849، عندما بدأت تتراجع الموجة الثوريّة في ألمانيا، استقال ماركس وأنصاره من الرابطة البرجوازيّة الديمقراطيّة، بعد أن قرّر تأليف منظرية للطبقة العالّية مستقلّة تماماً ولها سياسة طبقيّة مستقلّة.

كما ترون، لقد ذهب ماركس إلى أبعد مما ذهب إليه الشّيعويّون الصّينيّون في أيامنا هذه، الذين يشكّلون جزءاً من حزب الكيومينتانغ كحزب عمالي مستقلّ له منظرته الخاصّة على وجه التّحديد.

قد يجادل البعض في ما إذا كان من الأنسب لماركس وأنصاره الانضمام إلى الرابطة البرجوازيّة الديمقراطيّة في ألمانيا عام 1848، حين كان الأمر يتعلّق بحوض التّضال الثوري ضدّ الأوتوقراطيّة بالاشتراك مع البرجوازيّة الثوريّة. هذا قضية تكتيكية. لكنّ الأمر الذي لا شكّ فيه هو أنّ ماركس كان قد أقرّ من التّاحية المبدئيّة بجواز مثل ذلك الانضمام.

ثالثا. سيكون من غير الصحيح في الأساس القول بأن حزب الكيومينتانغ في ووهان هو حزب برجوازي صغير والوقوف عند هذا الحد. فلا يمكن أن يصف الكيومينتانغ على هذا النحو إلا أشخاص لم يفهموا لا الإمبريالية في الصين ولا طابع الثورة الصينية. فليس الكيومينتانغ حزبا برجوازيا صغيرا «عاديا». وهناك أنواع مختلفة من الأحزاب البرجوازية الصغيرة. لقد كان المناشفة والاشتراكيون الثوريون في روسيا حزبان برجوازيان صغيران أيضا لكنهما كانا، في ذات الوقت، حزبان إمبرياليان، لأنهما كانا في تحالف حربي مع الإمبرياليين الفرنسيين والبريطانيين، وبنخرطان إلى جانبهم في غزو واضطهاد بلدان أخرى مثل تركيا وبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين وغاليسيا.

هل يمكننا أن نقول أنّ الكيومينتانغ هو حزب إمبريالي؟ بالطبع لا، فحزب الكيومينتانغ معادي للإمبريالية تماما مثلما هي الثورة في الصين معادية للإمبريالية.

والاختلاف هنا أساسي. فأيّ شخص لا يقف على هذا الاختلاف ويخلط بين الكيومينتانغ المعادي للإمبريالية وبين الأحزاب الإمبريالية من قبيل الاشتراكيين الثوريين والمناشفة إثمًا هو شخص لا يمتلك أي فهم للحركة الوطنية الثورية في الصين.

وبطبيعة الحال، لو كان الكيومينتانغ حزبا برجوازيا صغيرا إمبرياليا، لما أُلّف الشيوعيون الصينيون تكتلا معه، ولكانوا قد حاربوه. حقيقة الأمر أنّ الكيومينتانغ حزبٌ معادي للإمبريالية يخوض نضالا ثوريا ضدّ الإمبرياليين وعملائهم في الصين. وعلى هذا الصعيد، يقف حزب الكيومينتانغ في منزلة أعلى من منزلة كلّ «الاشتراكيين» الإمبرياليين من رهط كيرنسكي وتسيريتيلي.

حتى تشانغ كاي-تشيك، وهو يمين الكيومينتانغ، والذي قبل أن يتخذ انقلابه ويشارك في مختلف المكائد ضدّ يسار الكيومينتانغ والشيوعيين، وحتى ذلك الحين، كان يفوق كيرنسكي وتسيريتيلي؛ ففي حين كان كيرنسكي وتسيريتيلي يحاربان من أجل استعباد تركيا وبلاد فارس وبلاد ما بين النهرين وغاليسيا، مما يساعد على

تقوية الإمبريالية، كان تشانغ كاي-تشيك يناضل، سواء كان جيّداً أو سيّئاً، ضدّ استعباد الصين ممّا كان يساعد على إضعاف الإمبريالية.

خطأ راديك، والمعارضة عموماً، هو أنّه يتجاهل طابع الصين شبه المستعمر، ولا يراعي طابع الثورة الصينية المعادي للإمبريالية، ولا يرى في كيومينتانغ ووهان من دون يمين الكيومينتانغ مركز نضال الجماهير الكادحة الصينية ضدّ الإمبريالية.

السؤال 3.

«أليس هناك تناقض بين تقديركم للكيومينتانغ (خطابكم في اجتماع طلبة الجامعة الشيوعية لشغبلة الشرق، 18 أيار 1925) كنتكل قوتين -الحزب الشيوعي والبرجوازية الصغيرة- والتقدير المتضمن في قرار الأمانة الشيوعية في الكيومينتانغ كنتكل أربع طبقات، بما فيها البرجوازية الكبيرة؟

هل يمكن للحزب الشيوعي الصيني أن يظلّ في الكيومينتانغ إذا ما قامت دكتاتورية الطبقة العاملة في الصين؟»

في المقام الأول، يجب أن أشير إلى أنّ تحديد الوضع الحالي داخل الكيومينتانغ الذي قدمته الأمانة الشيوعية في كانون الأول 1926 (الاجتماع السابع الموسع) قد ورد على نحو غير صحيح في «سؤالك» فلم يكن على نحو دقيق جداً. فـ«سؤالك» يقول: «بما فيها البرجوازية الكبيرة». لكنّ الكمراوريون هم أيضاً برجوازية كبيرة. فهل يعني هذا أنّ الأمانة الشيوعية تعتبر، في كانون الأول عام 1926، البرجوازية الكمراورية عضواً في التكنل داخل الكيومينتانغ؟ من الواضح أن لا. ذلك أنّ البرجوازية الكمراورية كانت، ولا تزال، العدو اللدود للكيومينتانغ. ولا يتحدّث قرار الأمانة الشيوعية عن البرجوازية الكبيرة بشكل عام، ولكن عن «جزء من البرجوازية الرأسمالية». وبالتالي، فما يشار إليه هنا ليس أيّ نوع من البرجوازية الكبيرة، وإنّما برجوازية وطنية من النوع غير الكمراوري.

في المقام الثاني، يجب أن أقول أنّي لا أرى أيّ تناقض بين هذين التحديدين للكيومينتانغ. ولا أرى أيّ من ذلك لأنّ ما لدينا هنا هو تحديد للكيومينتانغ من

وجهتي نظر مختلفتين، فما من واحد منهما يمكننا أن نقول عنه أنه غير صحيح؛ فكلاهما صحيحان.

عندما تحدّثت عام 1925 عن الكيومينتانغ من جهة أنّه حزب تتكثّل العمال والفلاحين، لم أكن أرمي إلى وصف الوضع الحالي في الكيومينتانغ، وإلى وصف الطبقات المرتبطة فعلا بالكيومينتانغ عام 1925. فعندما تحدّثت عن الكيومينتانغ حينئذ كنت أفكر فيه فقط من جهة أنّه نوع من جهاز لحزب ثوري شعبي ممّيز في بلدان الشرق المضطّدة، خصوصا في بلدان من قبيل الصين والهند؛ من جهة أنّه نوع الجهاز من قبيل الحزب الثوري الشعبي الذي يجب أن يتركز على تكثّل ثوري للعمال والبرجوازية الصغيرة في المدينة والريف. ولقد ذكرت بوضوح حينئذ أنّه «يجب على الشيوعيين في مثل تلك البلدان أن يمزّوا من سياسة الجبهة الوطنية المتحدة إلى سياسة التكتّل الثوري للعمال والبرجوازية الصغيرة» (أنظر: «المهام السياسية للجامعة الشيوعية لشعوب الشرق» في: ستالين: قضايا اللينينية، ص 264).

وبالتالي، فما كان يدور في ذهني لم يكن الحاضر، وإتّما مستقبل الأحزاب الثورية الشعبية بوجه عام، والكيومينتانغ بوجه خاص. وكثّ على صواب تامّ في ذلك.

لا يمكن لمنظمات من قبيل الكيومينتانغ أن يكون لها مستقبل إلا إذا سعت إلى بناء نفسها على تكثّل العمال والبرجوازية الصغيرة، وعند الحديث عن البرجوازية الصغيرة يجب أن يذهب تفكيرنا أساسا إلى الفلاحين الذي يألّفون القوة الأساسية للبرجوازية الصغيرة في البلدان المتخلّفة من التاحية الرأسمالية.

كما اهتمت الأمانة الشيوعية بنواحي مختلفة من هذه القضية. ففي اجتماعها السابع الموسّع قدّرت الكيومينتانغ لا من جهة مستقبله وما يجب أن يكون عليه، وإتّما من جهة ما هو عليه في الوقت الحاضر، في الوضع الحالي داخل الكيومينتانغ، و فقط من جهة ما هي الطبقات المرتبطة به فعلا عام 1926. ولقد كانت الأمانة الشيوعية على صواب تامّ عندما أعلنت أنّه، في ذلك الوقت، وطالما لم يحدث بعدّ

انقسام في الكيومينتانغ، فإنه يؤلف في الواقع تكتل العمال والبرجوازية الصغيرة (الحضرية والريفية) والبرجوازية الوطنية. يمكننا أن نضيف هنا أنّ الكيومينتانغ كان قد استند على تكتل تلك الطبقات لا في عام 1926، وإثما في عام 1925.

إنّ قرار الأُمّية الشيوعية، الذي ساهم في صياغته مساهمة كبيرة، ينصّ بوضوح على أنّ «تؤلف الطبقة العاملة تكتلا مع الفلاحين. وهي تتدخل بنشاط في التّصال لمصلحتها الخاصّة إلى جانب البرجوازية الصغيرة الحضرية وقسم من البرجوازية الرأسمالية». وأنّ «هذا المزيج من القوّات قد أوجد تعبير سياسيا عنه في ما يقابله من تجمّع داخل الكيومينتانغ وحكومة كانتون».

لكن بقدر ما لم تقتصر الأُمّية الشيوعية على الوضع الحالي عام 1926، فقد تطرّقت أيضا إلى مستقبل الكيومينتانغ. فلا يمكن لذلك التكتل إلا أن يكون مؤقتا. ومحكوم عليه، في المستقبل القريب، بأن يحلّ محلّه تكتل الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة. ولهذا السبب بالضبط يمضي قرار الأُمّية الشيوعية إلى القول بأنّ «الحركة في الوقت الحالي على عتبة مرحلة ثالثة، وذلك عشية إعادة تجمّع للقوى جديد»، وأنّه «في هذه المرحلة من التّطور فإن القوّة الأساسيّة للحركة هي تكتل ذو طابع أكثر ثوريّة؛ تكتل الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة الحضرية، والإطاحة بالقسم الأعظم من البرجوازية الرأسمالية الكبيرة». (المرجع نفسه)

ذلك هو، على وجه التّحديد، تكتل العمال والبرجوازية الصغيرة (الفلاحين) التي يقوم عليه الكيومينتانغ والتي يجب أن يستند عليه، والتي بدأ بالفعل في التبلور في ووهان بعد انقسام الكيومينتانغ وخيانة البرجوازية الوطنية، وذلك ما كتّ قد تحدّثت عنه في خطابي في الجامعة الشيوعية لشغيلة الشرق عام 1925. (أنظر أعلاه)

وبالتالي لدينا تحديان للكيومينتانغ من ناحيتين مختلفتين:

أ) من ناحية سمات حاضره، من ناحية الوضع الجاري داخل الكيومينتانغ عام

:1926

ب) من ناحية سياسات مستقبله، من ناحية ما يجب أن يكون عليه الكيومينتانغ، كوع من الجهاز للحزب الثوري الشعبي في بلدان الشرق.

كلا التحديدان مشروعان وصحيحان، لأنهما يتناولان الكيومينتانغ من ناحيتين مختلفتين، ويقدمان، في آخر التحليل لوحة شاملة.

ولسائل أن يسأل أمن تناقض هنا؟

دعونا، من أجل مزيد من الوضوح، نتناول «حزب العمال» في بريطانيا («حزب العمل»). نحن نعلم أن هناك في بريطانيا حزب خاص للعمال يستند على النقابات العمالية في المصانع وعمال المكاتب. لا تردّد في تسميه بالحزب العمالي. وهو يسمى هكذا لا في بريطانيا فحسب وإنما أيضا في كلّ الأدبيات الماركسيّة الأخرى.

لكن هل يمكننا أن نقول أن ذلك الحزب هو حزب للعمال حقًا، حزب طبقي للعمال، ويعارض البرجوازية؟ هل يمكننا أن نقول أنه حاليًا حزب طبقة واحدة؛ الطبقة العمالية، وليس حزب طبقتين؟ كلاً، إنه ليس كذلك. حاليًا، حزب العمل في بريطانيا هو حزب تكتل العمال والبرجوازية الصغيرة الحضرية؛ إنه حاليًا حزب تكتل طبقتين. وإذا ما تساءلنا أيهما أقوى نفوذًا في هذا الحزب، هل هم العمال الذين يعارضون البرجوازية أم البرجوازية الصغيرة، فلا بدّ من القول بأن نفوذ البرجوازية الصغيرة هو المهيمن في هذا الحزب.

وذلك ما يفسر لماذا حزب العمال البريطاني هو حاليًا بمثابة ذراع الحزب الليبرالي البرجوازي.

ولا تزال الأدبيات الماركسيّة تسميه حزب العمال.

كيف نفسّر هذا «التناقض»؟ تفسير ذلك هو أنه عندما يتمّ تحديد هذا الحزب على أنه حزب العمال، فإنّ ما يقصد عادة ليس الوضع الحالي داخل الحزب، وإنما نوع تركيبة حزب العمال الذي يجب أن يكون عليه في المستقبل؛ بفضل توقّف شروط معيّنة، يصبح حزبا للعمال حقًا، ويقف في وجه العالم البرجوازي. هذا لا

يمنع، بل على العكس، يفترض أن هذا الحزب هو في الواقع، حاليًا، حزب تقتل العمال والبرجوازية الصغيرة الحضرية.

ما من تناقض في ما قلته للتو في الكيومينتانغ.

هل سيكون من الممكن للحزب الشيوعي الصيني البقاء في الكيومينتانغ إذا ما قامت دكتاتورية الطبقة العاليتة في الصين؟

وأعتقد أنّ ذلك سيكون غير مناسب، وبالتالي مستحيلًا. سيكون ذلك غير مناسب، ليس فقط إذا ما قامت دكتاتورية الطبقة العاليتة، ولكن أيضًا إذا ما تمّ تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين. ماذا يعني تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين في الصين؟ إنّه هو يعني خلق ازدواجية السلطة. إنّه يعني قيام صراع على السلطة بين الكيومينتانغ والمجالس.

إنّ تأليف مجالس العمال والفلاحين هو تحضير الانتقال من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة العاليتة، إلى الثورة الاشتراكية. هل يمكن أن يتم مثل ذلك التحضير في ظل قيادة حزبين بينهما إلى حزب ديمقراطي ثوري مشترك؟ كلا، ذلك غير ممكن. يعلّمنا تاريخ الثورة أنّه لا يمكن أن يتمّ التحضير لدكتاتورية الطبقة العاليتة والانتقال إلى الثورة الاشتراكية إلا بقيادة حزب واحد هو الحزب الشيوعي، إذا كنا نتحدّث، بطبيعة الحال، عن ثورة عاليتة حقيقية. يعلّمنا تاريخ الثورة أنّه لا يمكن انجاز دكتاتورية الطبقة العاليتة وتطويرها إلا بقيادة حزب واحد هو الحزب الشيوعي، وإذا لم يكن ذلك كذلك، فلا يمكن أن يكون هنالك دكتاتورية عاليتة حقيقية وكاملة للطبقة العاليتة في الظروف الإمبريالية.

يترتب على ذلك، أنّه لا فقط عندما تكون هنالك دكتاتورية الطبقة العاليتة، بل حتّى قبل مثل تلك الدكتاتورية، حين يتمّ تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين، سوف يضطر الحزب الشيوعي إلى الانسحاب من الكيومينتانغ لإجراء الاستعدادات لاكتوبر صيني تحت قيادته الحضرية الخاصة.

أعتقد أنه في فترة تأليف مجالس نقاب العمال والفلاحين في الصين، والتحضير
لأكتوبر الصيني، سوف يتوجّب على الحزب الشيوعي الصيني أن يستبدل التكتل
الحالي داخل الكيومينتانغ بتكتل خارجي، أقول، من قبيل التكتل الذي كان لنا مع
يسار الاشتراكيين الثوريين في فترة الانتقال إلى أكتوبر.

السؤال 4. «هل حكومة ووهان هي دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية، وإذا لم يكن
ذلك كذلك، فما هي طرق النضال الأخرى لإقامة الدكتاتورية الديمقراطية؟»

وهل مارتنوف على صواب عندما يؤكد بأن الانتقال إلى دكتاتورية الطبقة
العمالية ممكن دون ثورة «ثانية»، وإذا كان ذلك كذلك، أين هو الخط الفاصل بين
الدكتاتورية الديمقراطية والدكتاتورية العمالية والصين؟»

لم تصبح حكومة ووهان دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية بعد. قد تصبح
كذلك. وستصبح بالتأكيد دكتاتورية ديمقراطية إذا ما تطوّرت الثورة الزراعية على
نحو كامل. لكنها لم تصبح جهاز دكتاتورية من هذا القبيل بعد.

ماذا يلزم لتحويل حكومة ووهان إلى جهاز لدكتاتورية العمال والفلاحين
الديمقراطية؟ يلزم أمران لذلك على الأقل:

أولاً، يجب أن تصبح حكومة ووهان حكومة ثورة زراعية-فلاحية في الصين،
حكومة تقدّم أكبر سند لهذه الثورة؛

ثانياً، يجب على الكيومينتانغ أن يحدّد قيادته العليا بقيادة جدد من الحركة
الزراعية من بين صفوف الفلاحين والعمال وأن يوسّع منظّماته الدنيا بأن يدمج فيها
جمعيات الفلاحين ومجالس نقابات العمال والمنظمات الثورية الأخرى في المدينة
والريف.

في الوقت الحالي، لدى الكيومينتانغ ما يناهز 500 ألف عضو. وهذا عدد
ضئيل، ضئيل على نحو رهيب بالنسبة للصين.

يجب على الكيومينتانغ أن يضمّ الملايين من الفلاحين والعمال الثوريين، وبالتالي يجب عليه أن يصبح منظمة ديمقراطية ثورية عظيمة من ملايين كثيرة.

فقط في ظلّ هذه الظروف سيصبح الكيومينتانغ في وضع يمكنه من تأليف حكومة ثورية والتي ستصبح جهاز دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية.

لا علم لي إن كان الرفيق مارتينوف قد تحدّث حاليًا عن الانتقال السلمي إلى دكتاتورية الطبقة العمالية. أنا لم أقرأ مقال الرفيق مارتينوف، أنا لم أقرأه لأنه من غير الممكن لي أن أنظر في كلّ ما لدينا من أدب اليوم تلو اليوم.

لكن إذا كان قد قال فعلا بإمكانية الانتقال السلمي من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة العمالية في الصين، فذلك خطأ.

طلب شوغينوف منّي ذات مرّة: «ما رأيك يا رفيق ستالين. أئن يكون من الممكن ترتيب الأمور من خلال الكيومينتانغ فمّر دفعة واحدة إلى دكتاتورية الطبقة العمالية بالوسائل السلمية؟» وأنا بدوري سألته: «وما الذي يعجبك يا رفيق شوغينوف في الصين، هل هو يمين الكيومينتانغ والبرجوازية الرأسمالية والإمبريالية؟» فأجاب: «حسنًا. وبعد.» قلت: «لا مفرّ من الصّراع.» كان ذلك قبل انقلاب تشانغ كاي تشيك. بطبيعة الحال، يمكن نظريًا، تصوّر إمكانية تطوّر سلمي للثورة في الصين. ولينين، على سبيل المثال، في إحدى المناسبات، رأى أنّ التطوّر السلمي للثورة في روسيا ممكنا من خلال السوفييتات. وكان ذلك في الفترة الممتدّة من نيسان إلى آب 1917. ولكن بعد هزيمة آب أقرّ لينين بأنّ الانتقال السلمي للثورة العمالية قد أصبح غير وارد على الإطلاق. واعتقد أنّه يجب أن نعتبر الانتقال السلمي للثورة العمالية في الصين أمرًا غير وارد أكثر بكثير. لماذا؟

أولًا، لأنّ أعداء الثورة الصينية، على الصّعيدين الداخلي (تشانغ تسو، لين، تشانغ كاي تشيك، البرجوازية الكبيرة، النبلاء، المالكون العقّاريون...) والخارجي (الإمبرياليون)، أكثر عددًا وأكثر قوّة بحيث لا يسمح ذلك بالتفكير في أن تتطوّر الثورة وأن تمضي إلى الأمام دون معارك كبيرة ودون انقسامات وخيانات خطيرة؛

وثانيا، لأنه لا يوجد سبب حتى نعتبر الكيومينتانغ الشكل التنظيمي للتورة
اللازم للانتقال من الثورة البرجوازية الديمقراطية إلى الثورة العمالية؛

وأخيرا، لأنه إذا كان، على سبيل المثال، في روسيا لم ينجح الانتقال السلمي
إلى الثورة العمالية من خلال السوفييات، التي هي نموذج كلاسيكي للثورة العمالية،
فما هو الأساس هنا حتى نفترض أن هذا التحول يمكن أن ينجح من خلال
الكيومينتانغ؟

لذا، أعتقد أنه يجب أن نعتبر الانتقال السلمي إلى الثورة العمالية غير وارد في
الصين.

السؤال 5. «لماذا لم تهاجم حكومة ووهان تشانغ كاي-تشيك، في حين أنها تسدّ الضربات
لتشانغ تسو لين؟

ألا يجعل تزامن الهجمتين على الشمال من جانب حكومة ووهان ومن جانب
تشانغ كاي جبهة التضال ضد البرجوازية الصينية أمرا غامضا؟»

حسنا، أيها الرفاق. أتم تطلبون الكثير من حكومة ووهان. بطبيعة الحال،
سيكون من الدقيق جدًا، التغلب على تشانغ تسو لين وتشانغ كاي-تشيك ولي
تشى شين والسنتاتور يانغ في وقت واحد. لكن وضع حكومة ووهان الحالي لا
يسمح لها بشنّ الهجوم على جميع الجهات الأربع في وقت واحد. تعهدت حكومة
ووهان بالهجوم ضدّ المؤكدين لسببين على الأقل:

أولا، لأنّ المؤكدين يتقدّمون نحو ووهان ويريدون القضاء عليها. وبالتالي كان
الهجوم عليهم تدبيرا دفاعيًا عاجلا للغاية؛

وثانيا، لأنّ أهالي ووهان يرغبون في الانضمام إلى قوات فينغ يو زيانغ والمضي
قدما من أجل توسيع قاعدة الثورة، التي، مرّة أخرى، هي قضية ذات أهمية
عسكرية وسياسية قصوى لمدينة ووهان في الوقت الحاضر.

إنّ الهجوم في وقت واحد على جبهتين هامتين مثل جبهتي تشانغ كاي-تشيك، وتشانغ تسو لين، هو في الوقت الحالي أكبر من طاقة حكومة ووهان. فهي أبعد من تهاجم سين يانغ غربا وتهاجم لي تشي شين جنوبا.

كنا، نحن البلاشفة، أقوياء زمن الحرب الأهلية. ولم نتمكن، إلى الآن، من تطوير عمليات هجومية ناجحة على كلّ الجبهات. فهل من سبب يجعلنا نتوقع أكثر من ذلك من حكومة ووهان في الوقت الحاضر؟

وفضلا عن ذلك، ماذا يعني الهجوم على شنغهاي الآن في الوقت الذي يتقدم فيه الموكدون وأنصار وُو بي فو نحو ووهان من الشمال؟

يعني ذلك جعل الأمور أسهل بالنسبة للموكدين وتأجيل الاتحاد مع قوات فينغ لأجل غير مستمى، دون الحصول على أي شيء في شرق البلاد. في الوقت الحاضر، فلنترك تشانغ كاي-تشيك يتقدم متعثرا في منطقة شنغهاي ويسامر الإمبرياليين هناك.

ستكون هناك معارك في شنغهاي، ولكنها لن تكون من قبيل ما يجري الآن في شانغشو وغيرها.

لا. المعارك المقبلة هناك ستكون أكثر خطورة بكثير. والإمبريالية لن تتخلى بسهولة عن شنغهاي؛ فهي مركز العالم ونقطة تقاطع المصالح الأساسية للمجموعات الإمبريالية.

أُن يكون من الأنسب الانضمام إلى قوات فينغ، وكسب قوة عسكرية كافية، وتطوير الثورة الزراعية على نحو كامل، والاستمرار في العمل المكثف لإحباط قوات تشانغ كاي-تشيك في المؤخرة وفي الجبهة، ثم بعد ذلك، نعالج مشكل شنغهاي برمته؟ أعتقد أنّ ذلك سيكون أنسب.

وبالتالي، فليس في الأمر ما يمكن أن «يطمس» جبهة التضال ضدّ البرجوازية الصّينية، لأنه لا يمكن أن يكون ذلك إذا ما تطوّرت الثورة الزراعية، وهي تتطوّر

وستستمر في التطور. وما من شك الآن في ذلك. وأكرر، ليس الأمر قضية «طمس»، وإنما قضية تطوير تكتيكات القتال المناسبة.

يعتقد بعض الرفاق أن هجوما على جميع الجبهات الآن هو علامة رئيسية على الروح الثورية. كلاً، أيها الرفاق. هذا ليس صحيحاً. لن يكون الهجوم على جميع الجبهات في هذه اللحظة إلا غباء، وليس دليلاً على الروح الثورية. لا يجب الخلط بين الغباء الروح الثورية.

السؤال 6. «هل ثورة كمالية أمر ممكن في الصين؟»

أرى أن ذلك غير محتمل في الصين، وبالتالي مستحيل.

الثورة الكمالية أمر غير ممكن إلا في بلدان من قبيل تركيا وبلاد فارس وأفغانستان، حيث لا توجد فيها طبقة عمالية صناعية أو هي كذلك عملياً، وحيث لا توجد فيها ثورة زراعية فلاحية عظيمة.

الثورة الكمالية هي ثورة الشريحة العليا؛ ثورة البرجوازية التجارية الوطنية، التي نشأت في الصراع ضد الإمبريالية الأجنبية، والتي وُجّه تطورها اللاحق، أساساً، ضد الفلاحين والعمال؛ ضد إمكانيّة قيام ثورة زراعية.

الثورة الكمالية أمر مستحيل في الصين للأسباب التالية:

أ) يوجد في الصين حدّ أدنى معيّن من طبقة عمالية صناعية قوية ونشطة وتحظى بهيئة كبيرة بين الفلاحين؛

ب) توجد في هذا البلد ثورة زراعية متطورة يكس تقدمها بقايا الإقطاع.

إنّ حركة الفلاحين الواسعة التي حجزت الأراضي فعلاً في بعض المحافظات وتشهد نضال الطبقة العمالية الثورية في الصين إنّما هي ترياق ضدّ احتمال ما يسمّى بالثورة الكمالية.

لا يمكن للحزب الكيالي أن يوضع على قدم المساواة مع حزب يسار الكيومينتانغ في ووهان، تماما كما لا يمكن أن توضع تركيا على قدم المساواة مع الصين. تركيا ليس لديها مراكز مثل شنغهاي ووهان وناكين، تيانسين، وغيرها. أنقرة أبعد من ووهان بكثير، كما أن الحزب الكيالي أبعد من يسار الكيومينتانغ بكثير.

يجب على المرء أيضا أن يأخذ بعين الاعتبار الفرق بين الصين وتركيا من جهة أهميتها الدولية.

بالنسبة إلى تركيا، حققت فيها الإمبريالية، فعلا، عددا من مطالبها الرئيسية؛ انتزعت منها سوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين وغيرها من النقاط ذات الأهمية بالنسبة للإمبريالية. وأصبحت تركيا الآن بلدا صغيرا يتراوح تعداد سكانه بين عشرة واثني عشرة مليون نسمة. ولا تمثل بالنسبة للإمبريالية سوقا ذا أهمية أو حقا حاسم للاستثمار. وأحد الأسباب التي صادفت ذلك هو أنّ تركيا القديمة كانت تجمع قوميات إلى جانب السكان الأتراك المجمعين في الأناضول حصرا.

ليس الأمر كذلك في الصين. الصين بلد مجمع وطنيا، ويبلغ عدد سكانها بضع مئات من ملايين، وتمثل أحد أهم الأسواق ومجالات تصدير رأس المال في العالم. ففي حين تكثفت الإمبريالية في تركيا بأن تقتطع منها عدد من المناطق الهامة جدا في الشرق، وتستغل التناقضات القومية بين الأتراك والعرب في تركيا القديمة. فإنها تضرب جسد الصين الوطني الحي، وتقطع أوصاله، وتقطع كلّ محافظة منه، من أجل الحفاظ على مواقعها القديمة، أو على الأقل الإبقاء على البعض منها.

لذا، ففي حين أوقف الكياليون التضال ضدّ الإمبريالية في تركيا عند ثورة معادية للإمبريالية غير ناجزة، فإنّ التضال ضدّ الإمبريالية في الصين له طابع شعبي عميق ووطني مميّز وقابل لأن يتعمق فيه تطوّر الصراع مع الإمبريالية خطوة تلو الخطوة؛ إنّه تضال مهزّ أسس الإمبريالية في جميع أنحاء العالم.

أحد أخطر أخطاء المعارضة (زينوفيف، راديك، تروتسكي) هو الفشل في إدراك هذا الاختلاف العميق بين تركيا والصين، والخلط بين الثورة الكبارلية والثورة الزراعيّة، وجمع كل شيء في سلّة واحدة دون تمييز.

أعلم أنّ من بين الوطنيّين الصّينيّين أشخاص يفتخرون بالأفكار الكبارلية، ويزعمون صراحة أنّ لكمال دور في الصّين اليوم.

وزعيم أولئك الأشخاص هو تشانغ كاي-تشيك. وأعلم أنّ بعض الصّحفيّين اليابانيّين يميلون إلى اعتبار تشانغ كاي-تشيك كمال الصّين. لكن كلّ ذلك حلم، إنّه وهم البرجوازي الخائف. يجب أن يذهب الانتصار في الصّين إمّا إلى موسيّليني الصّين من رهط تشانغ تسولين وتشانغ تسونغ-تشانغ، الذين هم من ستطیح بهم موجة الثّورة الزراعيّة في وقت لاحق، وإمّا إلى ووهان.

لا بدّ، حتّى، لتشانغ كاي-تشيك وأتباعه، الذين يحاولون اتّخاذ موقف وسطي بين هذين المعسكرين، أن يسقطوا وأن تقاسموا مصير تشانغ تسولين وتشانغ تسونغ-تشانغ.

السؤال 7. «هل يجب رفع شعار الحجز المباشر للأرض من قبل الفلاحين في الصّين في الوقت الحالي. وكيف يجب إجراء حجز الأراضي في هونان؟»

أعتقد أنّ علينا أن نرفع ذلك الشعار. ففي الواقع، ما يجري تنفيذه بالفعل في مناطق معيّنة هو شعار مصادرة الأرض. ففي عدد من المناطق، مثل هونان وغيرها، قد قام الفلاحون فعلاً بحجز الأرض من الأسفل، وهم يؤلّفون محاكم خاصّة بهم وأجهزة تأديبيّة خاصّة بهم ولجان دفاعهم الّثاتي الخاصّة بهم. وأعتقد أنّه في المستقبل القريب جدّاً سيذهب كلّ الفلاحين في الصّين إلى أبعد من شعار مصادرة الأرض.

هنا تكمن قوّة الثّورة الصّينيّة.

إذا ما أردت ووهان أن تفوز وإذا ما كانت تريد أن تخلق قوة حقيقية ضد تشانغ تسولين وتشانغ كاي-تشيك وكذلك ضد الإمبريالية، على حد سواء، فلا بد لها من تقدم أقصى الدعم للثورة الزراعية-الفلاحية في مصادر أراضي المالكين العقاريين.

سيكون من الحماقة أن نعتقد أن الممكن الإطاحة بالإمبريالية في الصين بالصراع المسلح لوحده. فبدون ثورة زراعية، وبدون أن تدعم جواهر الفلاحين والعمال جيش ووهان دعماً نشيطاً، لا يمكن أن نطرح تلك القوات.

غالباً ما تقدّر المعارضة انقلاب تشانغ كاي-تشيك على أنه انحسار في الثورة الصينية. هذا خطأ. إن الذين يقدّرون انقلاب تشانغ كاي-تشيك على أنه انحسار في الثورة الصينية هم في الواقع ينحازون إلى تشانغ كاي-تشيك، وهم في الواقع ينحازون إلى قبول تشانغ كاي-تشيك إلى كيومينتانغ ووهان مرة أخرى. فهم يعتقدون، على ما يبدو، أنه لو أنّ تشانغ كاي-تشيك لم يذهب بعيداً في انفصاله لسارت الثورة على نحو أفضل. إنّ ذلك لمن الحماقة ومن غير الثورية.

لقد أدى انقلاب تشانغ كاي-تشيك، في واقع الأمر، إلى أن يشرع الكيومينتانغ في تطهير مركزه من الورد والتوجه نحو اليسار. بالطبع، كان لا بد لانقلاب تشانغ كاي-تشيك من أن يسفر عن هزيمة جزئية للعمال في عدد من المناطق. لكن ذلك لم يزد عن كونه هزيمة جزئية ومؤقتة. في الواقع، مع انقلاب تشانغ كاي-تشيك، دخلت الثورة بمجملها مرحلة من التطور أعلى؛ مرحلة حركة زراعية.

هنا تكمن قوة الثورة الصينية وعظمتها.

يجب أن لا نرى تقدّم الثورة تقدماً في خط تصاعدي متواصل. فذلك منحي مدرسي، وليس فيها واقعية للثورة. فالثورة تتحرّك دوماً بالتواءات؛ نهوض وتحطيم للنظام القديم في بعض المناطق، وتكبد هزائم جزئية وتراجع في مناطق أخرى. انقلاب تشانغ كاي-تشيك هو أحد تلك الالتواءات في مسار الثورة الصينية،

واحدة أن هناك حاجة من أجل تطهير الثورة من النفاهة، وبدفعنا إلى الأمام في اتجاه حركة زراعية قوية.

لكن حتى تكون هذه الحركة الزراعية قادرة على تكوين طابعها وجب أن يكون لها شعارها العام. هذا الشعار هو مصادرة أراضي المالكين العقاريين.

السؤال 8. «لماذا من غير الصحيح إعلان شعار تأليف المجالس في الوقت الحاضر؟

ألا يعرض الحزب الشيوعي الصيني نفسه لخطر السير وراء الحركة في حال تأليف مجالس العمال في هونان؟»

إلى أي نوع من المجالس يرمي هذا السؤال؛ هل يرمي إلى المجالس العمالية، أم إلى المجالس غير العمالية، مجالس «الفلاحين»، مجالس «الشغيلة»، مجالس «الشعب»؟

لقد تحدّث لينين في أطروحاته إلى المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني عن تأليف «مجالس الشغيلة» و«مجالس الفلاحين» في البلدان الشرق المتخلفة. وكان يفكر في بلدان من قبيل آسيا الوسطى، حيث «لا توجد طبقة عمالية صناعية، أو تقريبا هي كذلك عمليا». كان يفكر في بلدان من قبيل بلاد فارس، أفغانستان، وما إلى ذلك. وذلك ما يفسر، في الواقع، لماذا لم تكن في أطروحات لينين ولو كلمة واحدة تتعلق بتنظيم مجالس العمال في مثل تلك البلدان.

لكن يتضح من ذلك أنّ ما تحدّثت عنه أطروحات لينين لم يكن بهمّ الصين التي لا يمكن أن يقال عنها أنّها لا تمتلك «طبقة عمالية صناعية، أو تقريبا هي كذلك عمليا»، وإنّما بهمّ بلدانا أخرى من الشرق أكثر تحلّفا.

وبالتالي، فما يتعلّق الأمر إذا كانت القضية هي تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين فورا في الصين. وبالتالي، عندما تتخذ قرارا في هذه القضية لا يجب أن نستحضر أطروحات لينين وإنّما أطروحات روي التي أقرها المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني نفسه، والتي تتحدّث عن تأليف مجالس العمال والفلاحين في بلدان

من قبيل الصين والهند. لكن تلك الأطروحات تتحدّث عن كيف أنّ تأليف مجالس العمال والفلاحين في تلك البلدان يجب أن يكون عند الانتقال من الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثورة العماليّة.

ما هي مجالس نواب العمال والفلاحين؟

مجالس نواب العمال والفلاحين هي، في المقام الأول، أجهزة الانتفاض على السّلطة القائمة، أجهزة نضال في سبيل سلطة ثوريّة جديدة، أجهزة السّلطة الثوريّة الجديدة. وهي، في ذات الوقت، مراكز تنظيم الثورة.

لكن لا يمكن أن تكون مجالس نواب العمال والفلاحين مراكز تنظيم الثورة إلّا إذا كانت أجهزة لإسقاط السّلطة القائمة وإذا كانت أجهزة للسّلطة الثوريّة الجديدة.

فإن لم تكن أجهزة للسّلطة الثوريّة الجديدة، فلا يمكنها أن تكون مراكز لتنظيم الحركة الثوريّة. وهذا ما ترفضه المعارضة فهمه وإذا بها تحارب المفهوم اللينيني لمجالس نواب العمال والفلاحين.

ماذا يعني تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين في الوقت الحاضر في مجال من مجالات العمل، لنقل، حكومة ووهان؟ يعني ذلك خلق ازدواجية السّلطة، وإنشاء أجهزة تمرد على حكومة ووهان. هل يجب على الشيوعيين الصينيين الإطاحة بحكومة ووهان في الوقت الحالي؟ من الواضح أن لا. على العكس من ذلك، يجب أن يعتمدوا عليها ويجوّلوها إلى جهاز كفاح ضدّ تشانغ تسولين، ضدّ تشانغ كاي-تشيك، ضدّ المالكين العقاريين والنبلاء، ضدّ الإمبرياليّة.

لكن إذا كان لا يجب على الحزب الشيوعي في الوقت الحاضر أن يطيح بحكومة ووهان، فما الذي يعنيه تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين الآن؟

أحد أمرين:

إمّا تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين فوراً من أجل إسقاط حكومة ووهان، وهو أمر غير صحيح وغير مقبول في الوقت الحاضر؛ أو تأليف مجالس

تؤاب العمال والفلاحين فوراً دون أن يعمل الشيوعيون على الإطاحة بحكومة ووهان، ودون أن تصبح المجالس أجهزة سلطة ثورية جديدة، وفي هذه الحالة سوف تنطفيء المجالس وتصبح مدعاة للسخرية.

وذلك ما كان يحدّر منه لينين دوماً عندما كان يتحدث عن تأليف مجالس تؤاب العمال والفلاحين.

يقول «سؤالكم» أنّ مجالس عماليتة يجري تأليفها في هونان، وأن الحزب الشيوعي مهتد بخاطر الشير وراء الحركة إذا لم يتوجّه إلى الجماهير بشعار تأليف المجالس.

هذا هراء، أيها الرفاق. لا توجد مجالس تؤاب العمال في هونان في الوقت الحالي. تلك إشاعة نشرتها الصحافة البريطانية. ما لدينا هناك هم «الزماة الحمر»؛ هنالك جمعيات الفلاحين، لكن ليس هنالك ولو شيء واحد يشير إلى مجالس تؤاب العمال.

يمكن، بطبيعة الحال، تأليف مجالس العمال. فتنالك ليست قضيتة صعبة للغاية. لكن المشكل ليس تأليف مجالس العمال؛ بل المشكل هو تحويلها إلى أجهزة سلطة ثورية جديدة. فإذا ما تعدّر ذلك، تصبح السوفييتات أمراً فارغاً ومدعاة للسخرية. سوف لن يكون تأليف مجالس العمال قبل الأوان إلّا حملها إلى الانهيار، وتحويلها إلى أمر فارغ؛ يعني في الواقع المساعدة على تحويل الحزب الشيوعي الصيني من زعيم الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى ذيل لجميع أنواع مجرّبي المجالس من «أقصى اليسار».

كروستاليوف، وهو أول رئيس لمجلس تؤاب العمال في سان بطرسبرغ عام 1905، استعجل كذلك ترميم، وبالتالي، تأليف مجلس تؤاب العمال في صيف عام 1906، معتبراً أنّ المجالس في حدّ ذاتها تستطيع أن تعكس ميزان القوى الطبقيّة، بصرف النظر عن الوضع. ولقد عارض لينين، في ذلك الوقت، كروستاليوف، وقال، في صيف عام 1906، أنّه لا يجب تأليف مجالس تؤاب العمال بعد ذلك، طالما

أَنَّ المؤخّرة (الفلاحين) لم تلتحق بعدُ بالطليعة (الطبقة العماليّة)، وبالتالي سيكون تأليف المجالس في ظل تلك الظروف، وكذلك إعلان شعار الانتفاضة محفوفًا بالمخاطر وغير مناسب.

لكن نستنتج من هذا، أولًا، أنه لا يجب أن نبالغ في دور المجالس في حدّ ذاتها. وثانيًا، لا يجب أن نتجاهل الظروف المحيطة عند تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين.

هل من الضروري تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين في كلّ الصّين؟

نعم. لقد ذلك ضروري. سيكون من الضروري تأليفها عندما تكون الحكومة الثّوريّة في ووهان قد قويت والثورة الزراعيّة قد تطوّرت، إنّه وقت الانتقال من الثورة الزراعيّة، من الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة إلى الثورة العماليّة.

سوف يعني تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين إرساء أسس السّلطة السّوفييتيّة في الصّين. ولكن إرساء أسس السّلطة السّوفييتيّة سوف يعني إرساء أسس ازدواجية السّلطة وتوجيه المسار نحو استبدال السّلطة الحاليّة لكيوميّنتانغ ووهان بالسّلطة السّوفييتيّة.

وأعتقد أن الوقت لم يحن بعدُ لذلك.

يتحدّث «سؤالكم» عن هيمنة الطبقة العماليّة والحزب الشّيوعي في الصّين.

لكن ما المطلوب من أجل تسهيل دور الطبقة العماليّة الصّينيّة كقائد والهيمنة في الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة الحاليّة؟

هذا يتطلب، أولًا، أن على الحزب الشّيوعي الصّيني أن يكون منظمة قويّة الاتّحاد للطبقة العماليّة، له برنامجها الخاص، أرضيته الخاصّة، تنظيمها الخاص، وخطّها الخاص.

وهذا يتطلب، ثانيًا، أن على الشّيوعيين الصّينيين أن يكونوا في الصفوف الأماميّة للحركة الزراعيّة-الفلاحيّة، وأن يعلّموا الفلاحين، وبالأخصّ الفلاحين

الفقراء، التَّنظُّم في جمعيات ولجان ثورية والعمل على مصادرة أراضي المالكين العقاريين.

وهذا يتطلب، ثالثاً، أن على الشيوعيين الصينيين أن يقووا موقعهم في الجيش، وأن يثوروه، وأن يحولوه من أداة للمغامرة الفردية إلى أداة للثورة.

وهذا يتطلب، أخيراً، أن على الشيوعيين الصينيين أن يشاركوا في أجهزة حكومة ووهان المحلية والمركزية، وفي أجهزة كيومينتانغ ووهان المحلية والمركزية، وأن ينتهجوا فيها سياسة حازمة لتوسيع لاحق للثورة ضد المالكين العقاريين والإمبريالية على حد سواء.

ترى المعارضة أنّ على الحزب الشيوعي أن يحافظ على استقلاله وأن يقطع علاقاته بالقوى الديمقراطية الثورية بأن يسحب من الكيومينتانغ ومن الحكومة في ووهان. لكن ذلك سيكون نوعاً من «الاستقلال» مشكوك فيه من قبيل ذلك الذي تحدّث عنه المناشفة في بلدنا عام 1905. ونعلم أنّ المناشفة قد عارضوا لينين في ذلك الوقت قائلين: «ما نحتاجه ليس الهيمنة، بل استقلال حزب العمال». لقد كان لينين على صواب عندما رأى في ذلك إنكار للاستقلال، ومعارضة الاستقلال بالهيمنة وأنّ ذلك يعني تحويل الطبقة العاملة إلى ذيل للبرجوازية الليبرالية.

أعتقد أنّ المعارضة، وهي تتحدّث اليوم عن استقلالية الحزب الشيوعي الصيني وتستعجل أو تشير إلى ضرورة انسحاب الحزب الشيوعي الصيني من الكيومينتانغ ومن حكومة ووهان، إنّما هي تنزلق إلى الخطّ المناشفة المدافع عن «الاستقلالية» في فترة 1905. فلا يستطيع الحزب الشيوعي أن يحافظ على استقلالية حقيقية وعن هيمنة حقيقية إلا أصبح القوة القائدة داخل الكيومينتانغ وخارجه على حدّ سواء وفي صفوف الجماهير الشغيلة الواسعة.

لا نسحب من الكيومينتانغ بل لنضمن القيادة للحزب الشيوعي داخل الكيومينتانغ وخارجه على حدّ سواء - ذلك ما هو مطلوب من الحزب الشيوعي الصيني إذا أراد حقاً أن يكون مستقلاً.

السؤال 9. «هل من الممكن أن نطرح قضية تأليف جيش أحمر نظامي في الصين في الوقت الحالي؟»

أعتقد أنه يمكن أن تفكر في هذه القضية من جهة الأفق. أما إذا تناولناها من الناحية العملية، فمن غير ممكن الآن، في هذا الوقت، أن نستبدل الجيش الحالي بجيش جديد، بجيش أحمر، لسبب بسيط هو أنه ليس هنالك بما نستبدله.

الأمر الأساسي الآن، وبينما يجري تحسين الجيش الحالي وتشويره بجميع الوسائل المتاحة، هو وضع أسس الجديد، فرقا وأفواجا، متكوّنة من الفلاحين الثوريين من بين الذين مرّوا بمدرسة الثورة الزراعية ومن العمال الثوريين، قصد تأليف عدد من الفرق العسكرية الجديدة والموثوق بها حقًا وقادة يمكن الاعتماد عليهم لتكون درعا للحكومة الثورية في ووهان.

تلك الفرق هي نواة الجيش الجديد الذي سوف يتطور لاحقا إلى جيش أحمر.

إنّ ذلك ضروري، على حد سواء، للتضال في الجبهة، وخصوصا للتضال في المؤخّرة ضدّ جميع أنواع عناصر الثورة المضادة التي ستنتصب.

بدون ذلك، لا يمكن أن يكون هنالك أية ضمانة ضدّ الانقلاب في المؤخّرة وفي الجبهة وضدّ الانسحاب والخيانة.

وأعتقد أن هذا المسار هو الوحيد الممكن والملائم في الوقت الحاضر.

السؤال 10. «هل شعار مصادرة الشركات الصينية أمر ممكن الآن، في الوقت الذي يقوم فيه التضال ضدّ البرجوازية؟ وفي أية ظروف تكون مصادرة المصانع الأجنبية في الصين أمرا ممكنا، وماذا سيترتب على مصادرة الشركات الصينية في ذات الوقت؟»

أعتقد، عموما، أنه لم يحن الوقت بعدّ للمرور إلى مصادرة الشركات الصينية.

لكن لا نستبعد احتمال أن يقوم أرباب العمل الصينيون بتخريب عنيد وإغلاق عدد من هذه المؤسسات وخلق بطالة اصطناعية قد تجبر حكومة ووهان على

الشروع في تأميم بعض من هذه الشركات حتى في الوقت الحاضر، وتجعلها تسيّر نفسها ذاتياً.

فمن الممكن أن تجبر حكومة ووهان حتى في الوقت الراهن على اتّخاذ مثل هذه الخطوة في حالات مفردة وذلك بمثابة تحذير لأرباب العمل الصينيين خاصة الحاقدين منهم على الثورة ومعارضين لها.

أما بالنسبة للشركات الأجنبية، فتأميمها قضية مستقبلية. فتأميمها هو بمثابة إعلان الحرب مباشرة على الإمبريالية. لكن لنعلن مثل هذه الحرب فذلك يتطلب ظروفًا مختلفة بعض الشيء، ظروفًا ملائمة أكثر مما هو موجود في الوقت الحاضر.

أعتقد أنه في المرحلة الحالية من الثورة، وطالما لم نكتسب حتى الآن القوة الكافية، فإنّ مثل هذا الإجراء سابق لأوانه ولذلك فهو غير مناسب.

لا تتلخّص المهمة الآن في ذلك، وإبًا في تأجيج نيران الثورة الزراعية إلى أقصى درجة ممكنة، لضمان هيمنة الطبقة العاملة في هذه الثورة، وتقوية ووهان وتحويلها إلى مركز التضال ضدّ كلّ أعداء الثورة الصينية.

يجب على المرء أن لا تحمل كافة المهام في آن واحد وإلاّ خاطر بانهباره تحت الوطأة. وبالأخصّ، وطالما أنّ الكيومينتانغ وحكومته غير مهَيَّان لإنجاز مهمات أساسية من قبيل مصادرة أملاك البرجوازيّين الصينيّة والأجنبيّة.

يتطلّب إنجاز هذه المهام وضعًا مختلفًا ومرحلة مختلفة من الثورة وأجهزة مختلفة من السّلطة الثوريّة.

صدر لأوّل مرّة باللّغة الروسيّة في:

ستالين: الثورة في الصين وأخطاء المعارضة، موسكو، لينينغراد، 1927.

المصدر المعتمد في الترجمة:

TALK WITH STUDENTS OF THE SUN YAT-SEN
UNIVERSITY

J. Stalin: Works, Vol. 9, p. 243-273

Foreign Languages Publishing House

Moscow, 1954

الثورة في الصين ومهمّات الأهميّة الشيوعيّة

خطاب في الجلسة العاشرة من الاجتماع الثامن الموسّع لتنفيذيّة الأُمّية الشيوعيّة، 24 أيار 1927

1. بعض القضايا الصّغيرة

أيّها الرفاق، أعتذر على حضوري متأخراً إلى جلسة اليوم لتنفيذيّة الأُمّية الشيوعيّة. فلم أستمع، طبعاً، إلى كامل الخطاب الذي تلاه تروتسكي هنا في تنفيذيّة الأُمّية الشيوعيّة.

لكن، أعتقد أنّه لا تنقصنا المادة الأدبيّة الضّافية لننقد المعارضة، فقد قدّم تروتسكي في الأيام الأخيرة إلى تنفيذيّة الأُمّية الشيوعيّة أطروحات ورسائل في القضية الصّينية.

لذا، سيرتكز تقدي لأخطاء تروتسكي على تلك الوثائق، وليس لي شكّ في أنّ ذلك سيكون في ذات الوقت نقداً لأسس الخطاب الذي تلاه تروتسكي اليوم.

سأسعى قدر الإمكان حتّى تكون الأمور الشّخصيّة بعيدة. فلا نسي أبداً أنّ تهجّات تروتسكي وزينوفيف الشّخصيّة كانت بصفتها عضوين في المكتب السياسيّ للجنة المركزيّة للحزب الشيوعيّ البلشفيّ في الاتّحاد السوفيتيّ وبصفتها عضوين في مجلس رئاسة الأُمّية الشيوعيّة.

من البدهي أنّ يجتذ تروتسكي أن يكون خلال اجتماعات تنفيذيّة الأُمّية الشيوعيّة بطلاً حتّى يغيّر النظّر في قضية خطر الحرب والثورة الصّينية، إلخ، إلى

النظر في قضية تروتسكي. وأعتقد أنّ تروتسكي لا يستحقّ اعتبارا كبيرا. فهو بمثابة ممثل أكثر مما هو بمثابة بطل. ولا يجب أن نخلط بين الممثل والبطل.

لن أقول شيئا عن واقع أنّ أشخاصا مثل تروتسكي وزينوفيف، وقد وجدهما الاجتماع السابع الموسع على انحراف اشتراكي-ديمقراطي، يقدران في كلّ ما للبلاشفة من أهمية. فليس هنالك من تهجم عند بوخارين أو ستالين. على العكس، سأكون أكثر تهجما لو أنّ شبه منشفي من رهط تروتسكي أو زينوفيف لم يقدر في وإنما مدحني.

سوف لن أطيل الحديث في كيف أنّ المعارضة، من خلال إعلانها الحالي ككتلة، قد خرقت ما التزمت به في 16 تشرين الأول 1926. يؤكّد تروتسكي أنّ ذلك الإعلان يخوّل له الحقّ في أنّ يدافع عن وجهة نظره. طبيعي أنّ ذلك صحيح. أمّا أن يسعى تروتسكي بذلك إلى أن يذهب في اعتقادنا أن ذلك كلّ ما ينطوي عليه ذلك الإعلان فلا يمكن أن نسوّي ذلك إلاّ سفسطة.

إنّ الإعلان حول المعارضة في 16 تشرين الأول لا يتحدّث عن حقّ المعارضة في أن تدافع عن وجهة نظرها فحسب، بل يتحدّث أيضا عن كيف أنّ وجهة النظر تلك يمكن الحفاظ عليها فقط في الحدود التي يسمح بها الحزب، وكيف أنّ التكتل يجب أن يشجّب ويوضع له حدّ، وكيف يجب على المعارضة أن «تخضع دون تحقّظ» لإرادة الحزب ولقرارات اللجنة المركزية، وكيف يجب على المعارضة لا أن تخضع لتلك القرارات فحسب، بل أن «تحسن تنفيذها» جيّدا.

فإذا ما أخذنا كلّ ذلك بعين الاعتبار، فهل يلزمنا برهان آخر لنثبت أن المعارضة قد خرقت على نحو فضّ إعلان 16 تشرين الأول 1926؟

سوف لن أتوسّع في ما تضمّنته عديد الأطروحات والمقالات والخطابات الرّاجعة إلى المعارضة من تشويه غريب وفضّ لمواقف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي في الاتّحاد السوفيتي والأممية الشيوعية في القضية الصّينية.

لا يكف تروتسكي وزينوفيف عن الزعم بأن اللجنة المركزية والأمانة الشيوعية قد أيدتا ولا تزالان تؤيدان سياسة «مساندة» البرجوازية الوطنية في الصين.

نحن في غنى عن البرهنة على أن تأكيد تروتسكي وزينوفيف هو فبركة واتهام وتشويه لا أساس له. ففي الواقع لم تؤكد اللجنة المركزية والأمانة الشيوعية على سياسة مساندة البرجوازية الوطنية وإنما على سياسة استغلال البرجوازية الوطنية طالما أن الثورة في الصين هي ثورة كل الجبهة الوطنية المتحدة، وقد عوضنا هذه السياسة بسياسة التضال المسلح ضد البرجوازية الوطنية لما أصبحت الثورة ثورة زراعية وشرعت البرجوازية الوطنية في مغادرة الثورة.

وحتى نقتنع بذلك، ليس أمامنا سوى أن ندرس وثائق من قبيل قرار الاجتماع السابع الموسع ونداء تنفيذية الأمانة الشيوعية وأطروحات ستالين للدعاية وأخيرا أطروحات بوخارين التي تسلمها مجلس رئاسة الأمانة الشيوعية يوم أمس. إنه لمن تعاسة المعارضة أنها لا تتصرف إلا بالثرثرة والغرابة.

2. الثورة الفلاحية-الزراعية من جهة أنها قاعدة الثورة الديمقراطية البرجوازية

الخطأ الأساسي عند تروتسكي أنه لا يفهم طابع الثورة الصينية ومغزاها.

تنبئ الأمانة الشيوعية فكرة أن بقايا الإقطاع هي عامل أساسي في الاضطهاد في الصين في الوقت الحاضر، عامل تفجير الثورة الزراعية. وتعتقد الأمانة الشيوعية أن بقايا الإقطاع في الأرياف الصينية، والتي تركز عليها مجمل البنية الفوقية البيروقراطية والعسكرية بما فيها من توشان وحكام وجزالات من قبيل شانغ تسو- لين وغيرهم، إنما تمثل القاعدة التي اندلعت منها الثورة الزراعية الحالية وهي تجري فيها.

فإذا كان 70 بالمائة من محصول الفلاحين يذهب إلى المالكين العقاريين والتبلاء، وإذا كان المالكون العقاريون، المسلحون أو غير المسلحين، يمتلكون لا فقط

السلطة الاقتصادية فحسب، بل يمتلكون كذلك السلطة الإدارية والقضائية، وإذا كان بيع وشراء النساء والأطفال على طريقة القرون الوسطى لا يزال يطبق في عدد معين من الأقاليم، - لا يمكننا أن لا نقبل بأن بقايا الإقطاع هي الشكل الرئيسي من أشكال الاضطهاد في الأقاليم الصينية.

ولأن بقايا الإقطاع، بكامل بنيتها الفوقية البيروقراطية والعسكرية، هي الشكل الرئيسي للاضطهاد في الصين، فإنّ الصين تمرّ بثورة زراعية على قوة وأهمية عملاقين.

وما هي الثورة الزراعية؟ إنّا بالفعل قاعدة الثورة الديمقراطية البرجوازية ومحتواها. ولهذا السبب، على وجه التحديد، تقول الأمية الشيوعية أنّ الصين تمرّ بثورة ديمقراطية برجوازية.

لكنّ الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين ليست موجهة ضدّ بقايا الإقطاع فحسب، فهي موجهة أيضا ضدّ الإمبريالية. لماذا؟ لأنّ الإمبريالية، بما لها من كامل القوة المالية والعسكرية، هي القوة التي تهتمّ ببقايا الإقطاع وتشيرها وتحافظ عليها بالتعاون مع كامل بنيتها الفوقية العسكرية والبيروقراطية.

لأنّة تستحيل الإطاحة ببقايا الإقطاع في الصين دون خوض نضال ثوري ضدّ الإمبريالية في الصين في ذات الوقت.

لأنّة يجب على كلّ الذين يريدون الإطاحة ببقايا الإقطاع في الصين، أن يرفعوا أيادهم بالضرورة في وجه الإمبريالية والمجموعات الإمبريالية في الصين.

لأنّ بقايا الإقطاع في الصين لا يمكن كسرها وإسقاطها دون خوض نضال حاسم ضدّ الإمبريالية.

ولهذا السبب، على وجه التحديد، تقول الأمية الشيوعية أنّ الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين هي ثورة معادية للإمبريالية في ذات الوقت.

وهكذا، فالثورة الحالية في الصين هي جمع لتبارين من الحركة الثورية؛ الحركة المعادية لبقايا الإقطاع والحركة المعادية للإمبريالية. والثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين هي جمع بين التضال ضد بقايا الإقطاع والتضال ضد الإمبريالية. تلك نقطة انطلاق كامل خط الأمتية الشيوعية (وبالتالي اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد السوفيتي) في قضايا الثورة الصينية.

وما هي نقطة انطلاق في نظرة تروتسكي إلى القضية الصينية؟ إنها تلك التي تناقض مباشرة نظرة الأمتية الشيوعية التي بسطنا. فتروتسكي إما يرفض الاعتراف بوجود بقايا الإقطاع في الصين رفضا قاطعا وإما لا يوليها أهمية حاسمة. إن تروتسكي (وبالتالي المعارضة) تنتقص من قوة ومغزى الاضطهاد الإقطاعي والبروقراطي في الصين، ويفترض أن هدف الثورة الوطنية الصينية الأساسي هو استقلال الصين استقلالا جمركا عن البلدان الإمبريالية. وسمحوا لي أن أعتمد على أطروحات تروتسكي التي قدّما إلى كلّ من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد السوفيتي وتنفيذية الأمتية الشيوعية منذ أيام، عنوانها «الثورة الصينية وأطروحات ستالين».

إيكم ما يقوله تروتسكي في تلك الأطروحات:

«من جهة الأساس، لا يمكننا أن ندعم محاولة بوخارين التي ترمي إلى تبرير خطّ انتهازيته الذي يشير إلى الدور الأساسي المزعوم «لبقايا الإقطاع» في الاقتصاد الصيني. وحتى إذا ما كان تقييم بوخارين للاقتصاد الصيني مرتكزا على تحليل اقتصادي لا على مفاهيم مدرسية، فلا يمكن حتى لـ«بقايا الإقطاع» كلّها أن تبرز السياسة التي سهّلت، على نحو جدّ واضح، انقلاب نيسان. الثورة الصينية لها طابع وطني برجوازي لسبب أساسي هو أنّ تطوّر القوى المنتجة للرأسمالية الصينية تعرقه حالة التبعية الجمركية للبلدان الرأسمالية.» (أنظر: تروتسكي: الثورة الصينية وأطروحات ستالين).

إنّ قراءة خاطفة لهذا المقتطف يمكنها أن تجعلنا نعتقد أنّ تروتسكي لا يجارب خطّ الأمّية الشيوعية في قضية طابع الثورة الصّينية وإتّما يجارب «السياسة المساومة» عند بوخارين. طبعاً، ذلك غير صحيح. الآن، ما لدينا هو تكذيب لفكرة «الدور الأساسي» لبقايا الإقطاع في الصّين. ما وقع تأكيده الآن هنا هو أنّ الثورة الزراعيّة التي تتطوّر في الصّين هي ثورة الشّريحة العليا، ثورة معادية للتّبعية الجمركية إن صحّ التعبير.

لقد كان الحديث عن «السياسة المساومة» عند بوخارين هنا ضروريّاً عند تروتسكي حتّى يخفي مغادرته خطّ الأمّية الشيوعية. وأقول دون غموض أنّ زاد تروتسكي هو عادة الغشّ.

إذن، ينتج عن ذلك حسب تروتسكي أنّ بقايا الإقطاع في الصّين بمجمل ما لها من بنية فوقية بيروقراطية وعسكريّة ليست من قضايا الثورة الصّينية في الوقت الحالي وإتّما هي عامل ثانوي لا أهمّيّة له ولا يستحقّ إلا أن نضعه بين معقوفين.

إذن، ينتج عن ذلك حسب تروتسكي أنّ «السبب الأساسي» للثورة الوطنيّة في الصّين هو التّبعية الجمركية للإمبرياليتين وأنّ الثورة في الصّين هي، بسبب ذلك، بالأساس، ثورة معادية للتّبعية الجمركية.

تلك نقطة الانطلاق في تصوّر تروتسكي.

تلك نظرة تروتسكي لطابع الثورة الصّينية.

واسمحوا لي أن ألاحظ أنّ تلك التّظرة هي ذات التّظرة عند «سعادة» مستشار التّولة تشانغ تسولين.

إذا كانت وجهة نظر تروتسكي صحيحة وجب أن تقبل بأنّ تشانغ تسولين وتشانغ كاي تشيك على حقّ عندما لا يقبلان ثورة زراعية أو عمالية، وأنّ يبذلا الجهد فقط للإطاحة بالاتفاقيات الجائرة ولتركيز استقلال جمركي خاصّ بالصّين.

لقد انزلق تروتسكي إلى وجهة نظر موظفي تشانغ تسولين وتشانغ كاي تشيك.

إذا كان يجب أن نضع بقايا الإقطاع بين معقوفين، وإذا كانت الأممية الشيوعية قد أخطأت عندما أعلنت أنّ لبقايا الإقطاع أهمية أساسية في المرحلة الحالية من الثورة، وإذا كانت قاعدة الثورة الصينية هي الشعبنة الجمركية وليس النضال ضد بقايا الإقطاع والإمبريالية التي تحميها، فما الذي تبقى من الثورة الزراعية في الصين؟

من أين أتت الثورة الزراعية في الصين بمطلبها في تأميم أراضي المالكين العقاريين؟ وما الذي يجعلنا في هذه الحالة نعتبر الثورة الصينية ثورة ديمقراطية برجوازية؟ أليست الثورة الزراعية هي قاعدة الثورة الديمقراطية البرجوازية فعلا؟ حقا، لا يمكن للثورة الزراعية أن تأتي من السماء؟

ألم تنخرط الملايين وعشرات الملايين من الفلاحين في ثورة زراعية عملاقة في أقاليم مثل هونان وهوبي وهينان وغيرها حيث ركز الفلاحون سلطتهم الخاصة ومحاكمهم الخاصة وأجمرت دفاعهم الذاتي ومطاردين المالكين ومصفين حساباتهم معهم «على طريقتهم الشعبنة»؟

أكما سنجد مثل تلك الحركة الزراعية القوية لو لم يكن الاضطهاد الإقطاعي-العسكري الشكل الأساسي للاضطهاد في الصين؟ كيف أمكن لحركة قوية من عشرات الملايين من الفلاحين أن تأخذ طابعا معاديا للإمبريالية لو أننا لم نعترف بأن الإمبريالية هي الحليف الرئيسي للإقطاعيين والعسكريين مضطهدي الشعب الصيني.

ألا تضم الجمعية الفلاحية في هونان وحدها أكثر من مليونين ونصف المليون عضو؟ وك أصبح منهم في هوبي وفي هينان؟ وك سيصبح منهم في أقاليم صينية أخرى في مستقبل قريب جدا؟

وماذا نقول عن «الزمامة الحمر» و«جمعيات شدّ الأحزمة» وغيرها، أمن من الممكن أن تكون نتاج الخيال، وليست واقعا؟

هل يمكننا، بجدّ، أن ندعم قولاً مفاده أنّ الثورة الزراعيّة التي شملت عشرات الملايين من الفلاحين تحت شعار تأمين أراضي المالكين العقاريين لم تكن موجهة ضدّ بقايا إقطاعيّة حقيقيّة وحيّة وإثماً ضدّ أشخاص خياليين بين معقوفين؟

أليس من الطّبيعيّ أن يكون تروتسكي قد انزلق إلى وجهة نظر موظفي «سعادة» تشانغ تسولين؟

وهكذا، لدينا خطّان أساسيان:

أ. خط الأهميّة الشيوعيّة، الذي يأخذ بعين الاعتبار بقايا الإقطاع في الصّين، من جهة أنّها الشّكل الأساسي من أشكال الاضطهاد؛ وما للحركة الزراعيّة القويّة من أهميّة حاسمة؛ وما لبقايا الإقطاع من صلة بالإمبرياليّة؛ وما للثورة الصّينيّة من طابع ديمقراطي برجوازي وما لها من مرمي هو التّضال ضدّ الإمبرياليّة؛

ب. خط تروتسكي، الذي يبنّي ما للاضطهاد الإقطاعي-العسكري من أهميّة أساسيّة؛ ولم ينجح في تقدير ما للحركة الزراعيّة في الصّين من أهميّة حاسمة؛ ويحصر الطّابع المعادي للإمبرياليّة في الثورة الصّينيّة في حدود مصالح الرأسماليّة الصّينيّة وهو مطلب استقلال الصّين الجمركي.

إنّ الخطأ الأساسي عند تروتسكي (وبالتالي عند المعارضة) هو أنّه ينتقص من أهميّة الثورة الزراعيّة في الصّين ولا يفهم ما لتلك الثورة من طابع ديمقراطي برجوازي وبنفي وجود الطّروف الموضوعيّة لحركة زراعيّة في الصّين تشمل عدّة ملايين وينتقص من أهميّة دور الفلاحين في الثورة الصّينيّة.

وهذا خطأ ليس بالجديد عند تروتسكي؛ فقد كان السّمة الأكثر تميّزاً لكامل خطّه خلال كامل مرحلة صراعه ضدّ البلشفيّة.

الانتقاص من أهميّة دور الفلاحين في الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة هو خطأ تابعه تروتسكي منذ 1905. وقد كان خطأ صارخاً على نحو خاصّ قبل ثورة شبّاط 1917، وهو متمسك به إلى اليوم.

اسمحو لي أن أشير إلى بعض الوقائع المتصلة بصراع تروتسكي ضد اللينينية
عشيّة ثورة شبّاط 1917، مثلاً، لما كنا نتقدّم نحو الانتصار في الثورة الديمقراطيّة
البرجوازيّة في روسيا.

لقد قال تروتسكي وقتئذ أنّه منذ أنّ قوي التمايز صلب الفلاحين وأصبحت
الإمبريالية هي المهيمنة وأصبحت الطبقة العماليّة تعارض الأمة البرجوازيّة، انحسر
دور الفلاحين ولم تعد للثورة الزراعيّة تلك الأهميّة التي كانت لها عام 1905.

ماذا قال لينين ردّاً على ذلك؟ اسمحو لي أن أقتبس مقتطفاً من مقال كتبه
لينين عام 1915 في موضوع دور الفلاحين في الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة في
روسيا:

﴿إنّ هذه التظرية (بشير إلى نظرية «الثورة الدائمة» عند تروتسكي - ستالين)
التي يرجع أصلها إلى تروتسكي تستعير من البلاشفة دعوتهم إلى أن تناضل الطبقة
العماليّة فضلاً حاسماً من أجل أن تفتكّ السلطة السياسيّة، وتستعير من المناشفة
«نفيهم» لدور الفلاحين. فربّما انقسم الفلاحون شرائح، وتمايزوا وأصبحوا، شيئاً
فشيئاً، غير قادرين على لعب دور ثوري؛ فثورة «وطنيّة» في روسيا إنّما هي أمر
مستحيل. «نحن نعيش عصر الإمبريالية» لكن «ليس في الإمبريالية تعارضاً بين
الأمة البرجوازيّة والنظام القديم، بل فيها تعارض بين الطبقة العماليّة والأمة
البرجوازيّة».

لدينا هنا مثلاً من التلاعب بكلمة: «إمبريالية» يعث على الضحك! فلما كانت
الطبقة العماليّة في روسيا تعارض «الأمة البرجوازيّة»، فذلك يعني أنّ روسيا على
عتبة ثورة اشتراكية!! لذا، فشعار «تأميم أراضي المالكين العقاريّين» (الذي كرره
تروتسكي عام 1915 بعد أن قام بذلك بعد مجلس كانون الثاني عام 1912) شعار غير
صحيح، ويجب علينا أن نتحدّث لا عن «حكومة عماليّة ثوريّة» وإنّما عن «حكومة
عماليّة اشتراكية»!! إلى أيّ درجة من التشويش يبلغ تروتسكي في جملته التي يقول
فيها أنّ الطبقة العماليّة ستجرّ معها، أيضاً، جواهر الناس غير العماليّة! (العدد 217).

لم يذهب في بال تروتسكي أنّه إذا ما جرّت الطبقة العماليّة معها الجماهير غير العماليّة في البلاد في سبيل تأميم أراضي المالكين العقاريّين والإطاحة بالأوتوقراطيّة فسيكون ذلك بمثابة إتمام «الثورة الوطنيّة البرجوازيّة» في روسيا، بمثابة دكتاتوريّة العمال والفلاحين الديمقراطيّة الثوريّة!

إنّ السنوات العشر، من 1905 إلى 1915، بأهلها، تلك العشريّة العظيمة، برهنت على أنّ هناك خطّان طبقيّان فقط، في الثورة الروسيّة. لقد شدّد تميز الفلاحين الصّراع الطبقي صلدهم وأيقظ عديد العناصر الحاملة إلى الحياة السياسيّة وجعل عمال الرّيف أقرب إلى عمال المدينة (لم ينفكّ البلاشفة يؤكّدون على تنظيم العمال الزراعيّين في منظمات مستقلّة منذ 1906، وأضافوا هذا المطلب في قرار مؤتمر ستوكهولم المنشفي). لكنّ التناحر فيما بين «الفلاحين» وماركوف-رومانوف-خوستوف أضحى عظيماً وأكثر تطوّراً وأكثر حدّة. إنّ هذه الحقيقة على درجة من البدهة حتّى أنّ آلاف الجمل في العشرات من مقالات تروتسكي في باريس لا تستطيع أن ترفضها. إنّ تروتسكي يقّدّم العون في الواقع للسياسيّين العماليّين اللبراليّين في روسيا الذين يفهمون من «نفي» دور الفلاحين رفض دفع الفلاحين إلى الثورة. وذلك هو بيت القصيد الآن. ﴿أنظر: مجلد 18، ص 317-318﴾

هذه الخاصيّة في لوحة تروتسكي، حيث يرى البرجوازيّة ويرى الطبقة العماليّة ولا يلاحظ الفلاحين ولا يفهم دورهم في الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة، هي بالضبط الخاصيّة التي تمثّل الخطأ الأساسي عند المعارضة في القضية الصينيّة، وهي بالضبط ما يمثّل عند تروتسكي والمعارضة من «شبه المنشفيّة» في قضيّة طابع الثورة الصينيّة. وتنساب من هذا الخطأ الأساسي كلّ أخطاء المعارضة الأخرى وكلّ الخلل في تلك الأطروحات في القضية الصينيّة.

3. يمين الكيومينتانغ يذبح الشيوعيين في نانكين ويسار الكيومينتانغ يحتفظ بتحالفه مع الشيوعيين في ووهان

لنأخذ قضية ووهان على سبيل المثال. إن مواقف الأمية الشيوعية من الدور الثوري لوهان معروفة جيدا وواضحة جيدا. فمذ شرعت الصين تحتاز ثورة زراعية، ومذ أصبح انتصار الثورة الزراعية انتصار الثورة الديمقراطية البرجوازية وانتصار دكتاتورية العمال والفلاحين الثورية، ومذ أصبحت نانكين مركز الثورة المضادة القومية ووهان مركز الحركة الثورية في الصين، أصبح من الواجب مساندة كيومينتانغ ووهان ووجب على الشيوعيين أن يشاركوا في هذا الكيومينتانغ وفي حكومته الثورية شرط أن يضمنوا للطبقة العاملة وحزبها الدور القيادي داخل الكيومينتانغ وخارجه في ذات الوقت.

هل حكومة ووهان الحالية جهاز لدكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية؟ كلا، ليست ذلك الجهاز في الوقت الحالي، ولا يمكنها أن تكون كذلك قريبا. لكن لها كل فرص التطور إلى مثل ذلك الجهاز إذا ما أخذنا بعين الاعتبار تطور الثورة اللاحق ونجاحاتها.

ذلك هو موقف الأمية الشيوعية.

أما طريقة تروتسكي في النظر فهي مختلفة تماما. فهو لا يعتبر ووهان مركز الحركة الثورية بل «خُدعة». فلما سؤل تروتسكي ما هو يسار الكيومينتانغ في الوقت الحالي، أجاب: «إته، إلى حد الآن، لا شيء أو تقريبا لا شيء».

لنفترض أنّ ووهان خُدعة. لكن إذا كانت ووهان خُدعة فلماذا لم يؤكّد تروتسكي على نضال حازم ضدّ هذه الخُدعة. ومنذ متى كان الشيوعيون يساندون الخدع ويشاركون فيها ويكونون في مقدمتها؟ أليس حقّا أنّ على الشيوعيين واجب النضال ضدّ الخدع؟ أليس حقّا أنّ الشيوعيين إذا ما امتنعوا عن النضال ضدّ الخدع إنّما يعني ذلك أنّهم يمدعون العمال والفلاحين؟ فلماذا لم يقترح تروتسكي على الشيوعيين ضرورة النضال ضدّ هذه الخُدعة بأن ينسحبوا فوراً من كيومينتانغ

ووهان ومن حكومة ووهان؟ لماذا يقترح تروتسكي أن يظلوا داخل هذه الخدعة لا أن يغادروها؟ أين المنطق في ذلك؟

ألن يكون «منطقاً» فجاً إذا ما فسّرناه بواقع أنّ تروتسكي اتخذ موقفاً معادياً تجاه ووهان وسماها خدعة، ثم خاف فتراجع عن استخلاص النتيجة التي تستوجبها أطروحاته؟

أو لنتناول زينوفيف مثلاً. في أطروحاته التي ورّعت في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد السوفييتي في نيسان من هذا العام حدّد زينوفيف الكيومينتانغ في ووهان على أنّه من قبيل الحكومة الكماليّة في فترة 1920. لكنّ الحكومة الكماليّة هي حكومة تحارب العمال والفلاحين وهي حكومة لا وجود للشيوعيين فيها ولا يمكنهم أن يكونوا فيها. وأعتقد النتيجة الوحيدة التي يمكن استخلاصها من ذلك التحديد هي: نضال حازم ضدّ ووهان، والإطاحة بحكومة ووهان.

لكن ذلك ما سيفكر فيه فقط أناس عاديّون بمنطق عاديّ.

فليس ذلك ما يفكر فيه زينوفيف. فهو يحدّد حكومة ووهان في هانكيو على أنّها حكومة كماليّة لكنّه يقترح، في ذات الوقت، أن تحظى تلك الحكومة بالسند الأكثر حيويّة وأن لا يستقيل الشيوعيون منها وأن لا ينسحبوا من كيومينتانغ ووهان، إلخ.

إنّه يقول:

«من الضروريّ تقديم المساعدة الأكثر حيويّة وكلّ التدابير إلى هانكيو وتنظيم المقاومة لصدّ الكافينياكين. ويجب أن تتركز الجهود المباشرة المقبلة على وجه التحديد، على تسهيل التنظيم في هانكيو وتقويته» (أنظر: أطروحات زينوفيف)

حاولوا أن تفهموا إن كنتم تستطيعون!

قال تروتسكي إنّ ووهان أي هانكيو خدعة.

ويؤكد زينوفيف، عكس ذلك، أنّ ووهان حكومة كإلّية. والخلاصة التي يجب استنتاجها هي أنّ الخدعة يجب أن تُحارب، أو تخاض معركة للإطاحة بحكومة ووهان. لكنّ الاثنان، تروتسكي وزينوفيف، يتراجعان عن الخلاصة التي تنتج عن موقفها، ويذهب زينوفيف إلى أبعد من ذلك ويقترح تقديم « المساعدة الأكثر حيوية وكلّ التدابير إلى هانكيو».

ما كلّ هذا؟ إنّه يبيّن أنّ المعارضة تتخبّط في تناقضات. وفقدت قدرة التفكير المنطقي وفقدت كلّ معنى للآفاق.

تشوُّش في التفكير وفقدان كلّ معنى للآفاق في قضية ووهان ذلك هو موقف تروتسكي والمعارضة إن أمكن أن نسمي التشوُّش موقفاً.

4. مجالس نواب العمال والفلاحين في الصّين

أو لنأخذ قضية مجالس نواب العمال والفلاحين كمثال آخر.

لنا في قضية تنظيم التسوفييتات ثلاثة قرارات أقرها المؤتمر الشيوعي العالمي الثاني: أطروحات لينين في تأليف مجالس الشغيلة غير العمالية والفلاحين في البلدان المتأخرة، وأطروحات روي في تأليف مجالس العمال والفلاحين في بلدان من قبيل الصّين والهند، والأطروحات الخاصة: «متى وفي أية ظروف يمكن تأليف مجالس نواب العمال».

تناولت أطروحات لينين تأليف مجالس «الفلاحين»، مجالس «الشعب»، مجالس «الشغيلة غير العمالية» في بلدان من قبيل تلك التي في آسيا الوسطى حيث لا توجد تقريبا طبقة عمالية صناعية. ولا تتحدّث أطروحات لينين ولو بكلمة واحدة عن تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين في تلك البلدان.

ومن ناحية أخرى، تؤكد أطروحات لينين على أنّ من أحد الشروط الجوهرية في تطوّر وتأليف مجالس «الفلاحين» ومجالس «الشعب» في البلدان المتأخرة هو التمدد المباشر للثورة في هذه البلدان الذي تقدّمه الطبقة العمالية في اتحاد

الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية. ومن الواضح أنّ تلك الأطروحات لا تتناول الصين أو الهند - حيث يوجد حدّ أدنى معيّن من طبقة عليّية صناعيّة وحيث في ظروف معيّنة يكون تأليف مجالس العمال شرط أوّلي لتأليف مجالس الفلاحين-، بل بلدانا أخرى أكثر تأخراً مثل الفرس، الخ.

تناولت أطروحات روي، أساسا، الصين والهند حيث توجد طبقة عليّية صناعيّة. وتقدّم هذه الأطروحات تأليف مجالس العمال والفلاحين، في وضع معيّن؛ في مرحلة الانتقال من الثورة البرجوازيّة إلى الثورة العماليّة. ومن الواضح أنّ هذه الأطروحات ترمي إلى الصين مباشرة.

أمّا الأطروحات الخاصّة التي أقرّها المؤتمر الشيوعي العالمي الثّاني تحت عنوان «متى وفي أيّة ظروف يمكن تأليف مجالس نواب العمال» فتتناول دور مجالس نواب العمال على أساس تجربة الثورات في روسيا وألمانيا. وتؤكد هذه الأطروحات أنّ «دون ثورة عماليّة، ستتحوّل مجالس العمال إلى مزملة». ومن الواضح أنّ عندما تتناول قضيّة تأليف فوري لمجالس نواب العمال والفلاحين في الصين وجب علينا أن نأخذ هذه الأطروحات الأخيرة بعين الاعتبار أيضا.

كيف نفهم قضيّة التّأليف الفوري لمجالس نواب العمال والفلاحين في الصين إذا ما أخذنا بعين الاعتبار وفي ذات الوقت كلّا من الوضع الحالي في الصين بما فيه من تجربة كيومينتانغ ووهان من جهة أنّ مركز الحركة الثّوريّة وتعاليم المؤتمر الشيوعي العالمي الثّاني من خلال أطروحتيه الأخيرتين.

إنّ تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين في الوقت الحالي في المجال العملي، لنقل حكومة ووهان، سيكون بمثابة تركيز سلطة مزدوجة ورفع شعار التّصال في سبيل الإطاحة بيسار الكيومينتانغ وإحلال سلطة جديدة سوفيتيّة محلّه في الصين.

إنّ مجالس نواب العمال والفلاحين هي أجهزة نضال للإطاحة بالسلطة القائمة، أجهزة نضال في سبيل سلطة جديدة. وظهر مجالس نواب العمال والفلاحين لا

يمكنه إلا أن يخلق سلطة مزدوجة، وفي مثل هذه الحالة، لا يمكنه إلا أن يجعل قضية جعل كل السلطة للمجالس مشكلا عويصا.

كيف نفهم ما جرى في روسيا خلال آذار ونيسان وأيار وحزيران عام 1917؟ لقد كانت وقتئذ الحكومة المؤقتة التي تمتلك نصف السلطة - لكنها تمتلك في الحقيقة سلطة أكبر لأنها كانت تحظى بسند من الجيش. وشيئا فشيئا كان إلى جانبها مجالس نواب العمال والفلاحين التي كانت تمتلك ما يمكننا أن نسميه نصف السلطة رغم أنها لم تكن سلطة حقيقية مثل تلك التي كانت عند الحكومة المؤقتة. وكان شعار البلاشفة وقتئذ هو الإطاحة بالحكومة المؤقتة ونقل كل السلطة إلى مجالس نواب العمال والفلاحين. وما من بلشفي دخل الحكومة المؤقتة لأنه لا يمكنك أن تدخل حكومة وأنت بصدد الإطاحة بها.

هل يمكن القول أن الوضع في روسيا في آذار-حزيران عام 1917 مماثل للوضع في الصين اليوم؟ كلا، لا يمكن قول ذلك. ذلك أن روسيا كانت مقدمة على ثورة عمالية في ذلك الوقت، في حين أن الصين مقدمة الآن على ثورة برجوازية ديمقراطية. ذلك أن الحكومة المؤقتة في روسيا في ذلك الوقت كانت حكومة مضادة للثورة وإمبريالية، في حين أن حكومة ووهان الحالية هي حكومة معادية للإمبريالية وثورية بالمعنى الديمقراطي البرجوازي للكلمة.

ما تقترح المعارضة في هذا الموضوع؟

إنها تقترح تأليفا فورياً لمجالس نواب العمال والفلاحين والجنود في الصين كمراكز تنظيمية للحركة الثورية. لكن مجالس نواب العمال والفلاحين ليست فقط مراكز تنظيمية للحركة الثورية فقط. فهي قبل كل شيء وأساساً أجهزة للانتفاضة على السلطة القائمة، وأجهزة لتركيز سلطة جديدة ثورية. فالمعارضة لا تفهم أن مجالس نواب العمال والفلاحين لا يمكنها أن تصبح مراكز للحركة الثورية إلا كأجهزة انتفاضة فقط، كأجهزة سلطة جديدة فقط. فإن غاب ذلك أضحى مجالس نواب العمال خدعة، وملحق للسلطة القائمة مثلما كان الحال في ألمانيا عام 1918 وفي روسيا في

تموز 1917. فهل فهمت المعارضة أنّ تأليف مجلس نواب العمال والفلاحين في الصين في الوقت الحالي سوف يعني تركيز سلطة مزدوجة، مشتركة بين المجالس وحكومة ووهان، وسيؤدّي ذلك، بالضرورة وحتمًا، إلى المطالبة بإسقاط حكومة ووهان؟

أشكّ بقوة في أن يكون زينوفيف قد فهم هذا المشكل البسيط. لكنّ تروتسكي فهم ذلك جيّدًا. فهو يعلن صراحة في أطروحته: «إنّ شعار المجالس يعني المطالبة بتركيز أجمرة سلطة ملائمة من خلال نظام انتقالي مزدوج السّلطة.» (أنظر: أطروحات تروتسكي: «الثورة الصينية وأطروحات ستالين»)

إذن، ينتج عن ذلك، أنّه إذا ما ركّزنا المجالس في الصين وجب علينا، في ذات الوقت، أن نركّز «نظاما مزدوج السّلطة» وأن نطيح بحكومة ووهان وأن نألّف سلطة جديدة ثورية. ومن البديهي أنّ تروتسكي يعتمد هنا أحداث تاريخ الثورة الروسية السابقة لأكتوبر من عام 1917 أتمودجا. ففي تلك الفترة كان هناك حقًا سلطة مزدوجة وكنا حقًا نعمل على الإطاحة بالحكومة المؤقتة.

لكّتي كنت قد قلت أنّ ما من أحد مثا كان قد فكّر في الدّخول في الحكومة المؤقتة. فلماذا لا يقترح تروتسكي الآن أن ينسحب الشيوعيون من الكيومينتانغ ومن حكومة ووهان؟ كيف يمكنك أن تركز المجالس، كيف يمكنك أن تركز نظاما مزدوج السّلطة في ذات الوقت الذي لا تزال فيه داخل حكومة ووهان التي تريد إسقاطها؟ لا تقدّم أطروحات تروتسكي أيّ جواب لهذا السّؤال.

من الواضح أنّ تروتسكي قد أوقع نفسه في متاهات تناقضاته. فقد خلط بين ثورة ديمقراطية برجوازية وثورة عمالية. و«نسي» أنّ الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين أبعّد من أن تكون قد أنجزت بعد، أبعّد من أن تكون قد انتصرت بعد وإثما هي في أولى مراحل تطورها. ولا يفهم تروتسكي أنّ سحب دعم حكومة ووهان ورفع شعار ازدواج السّلطة والشروع في الإطاحة بحكومة ووهان في الوقت الحالي من خلال تأليف المجالس فورًا إثما يعني تقديم العون المباشر والقوي لتشان كاي-تشيك وتشان تسولين.

لقد سؤلنا كيف فهمنا تأليف مجالس نواب العمال في روسيا عام 1905؟

ألم تكن نمر وقتئذ بثورة برجوازية ديمقراطية؟

أولاً. لم يكن هنالك وقتئذ إلا مجلسين أحدهما في سان-بيترسبورغ والآخر في موسكو. ووجود مجلسين لا يعني بعد تركيز نظام السلطة السوفيتية في روسيا.

ثانياً. كان مجلسا سان-بيترسبورغ وموسكو في تلك الفترة همازا انتفاضة على السلطة القديمة القيصرية. وذلك يؤكد مرة أخرى أنه لا يمكن النظر إلى المجالس على أنها مراكز تنظيم الثورة، وأنها لا تكون كذلك إلا إذا كانت أجهزة للانتفاضة وأجهزة للسلطة الجديدة.

ثالثاً. يبين تاريخ مجالس العمال أنه لا يمكن للمجالس أن توجد وتتطور إلا إذا توفرت ظروف ملائمة لانتقال مباشر من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة العمالية، بالتالي، إذا ظروف ملائمة للانتقال من السيطرة البرجوازية إلى دكتاتورية الطبقة العمالية.

أليس بفعل غياب تلك الظروف الملائمة أنّ مجلسي عمال سان بيترسبورغ وموسكو كانا قد اضمحلّا عام 1905؟ أليس ذلك ما كان لمجالس العمال في ألمانيا عام

1918؟

كان من الممكن أن لا يكون في روسيا عام 1905 مجالس عمالية لو كان في روسيا في ذلك الوقت منظمة ثورية واسعة مثل يسار الكيومينتانغ في الصين اليوم. لكن ما كان لمثل تلك المنظمة أن توجد في روسيا في ذلك الوقت لأن عناصر الاضطهاد القومي لم تكن قائمة بين العمال والفلاحين الروس؛ فالروس أنفسهم كانوا يضطهدون قوميات أخرى ولا يمكن أن توجد منظمة مثل يسار الكيومينتانغ إلا عندما يكون هنالك اضطهاد قومي من جانب الإمبرياليين الأجانب الذي يجذب مجمل العناصر الثورية في البلاد في منظمة واحدة واسعة.

يجب أن يكون المرء أعمى حتى لا يرى ما ليسار الكيومينتانغ من دور جهاز نضال ثوري، جهاز الانتفاض على بقايا الإقطاع والإمبريالية في الصين.

لكن ماذا ينتج عن ذلك؟

ينتج عن ذلك أنّ التور الذي يقوم به يسار الكيومينتانغ الآن في الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين هو، تقريبا، ذات الدور الذي قامت به المجالس العمالية في الثورة الديمقراطية البرجوازية في روسيا عام 1905.

سيكون شأننا آخر لو أنّ في الصين لم توجد منظمة شعبية وديمقراطية ثورية من قبيل يسار الكيومينتانغ. لكن لما وجدت مثل تلك المنظمة الثورية المتميزة، الملائمة للخصائص التي تميّز الظروف الصينية والتي برهنت على كفاءتها في مواصلة تطوير الثورة الديمقراطية البرجوازية في الصين، سيكون من الغباء وقلة الحذر أن نحطم تلك المنظمة التي تألّفت خلال سنوات، الآن، حيث ليس للثورة إلا أن بدأت ولم تنتصر ولا انتصارها قريب.

لقد استنتج بعض الرفاق من هذا التقييم أنّه يمكن استخدام الكيومينتانغ في المستقبل أيضا، خلال الانتقال إلى الثورة العمالية، من جهة أنّه الشكل التطبيقي الحكومي للديكتاتورية العمالية. ويعتقدون أنّ في ذلك إمكانية انتقال سلمي من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة العمالية.

طبعا، إنّ إمكانية تطوّر الثورة تطوّرا سلميا ليس، بوجه عام، أمرا مستبعدا.

جرى الحديث عندنا أيضا في روسيا في التّصف الأول من عام 1917، عن إمكانية تطوّر الثورة تطوّرا سلميا من خلال المجالس.

لكن، أولا، ليس الكيومينتانغ والمجالس ذات الشيء. فإن أمكن ملائمة الأول لعمل تطوير الثورة الديمقراطية البرجوازية فلا يعني ذلك بالضرورة أنّ من الممكن أن يلاءم العمل على تطوير الثورة العمالية.

ثانياً. لقد اتضح في الواقع أنّ الانتقال السلمي إلى الثورة العمالية في روسيا عام 1917 أمراً مستبعداً حتى لو كان ذلك بالمجالس.

ثالثاً. إنّ المراكز العمالية في الصين قليلة العدد جدّاً، وأعداء الثورة أقوياء وكثيرون العدد، وكلّ تقدّم تحرزه الثورة وكلّ ضربة للإمبريالية إنّما ذلك بانشقاقات جديدة في الكيومينتانغ وبتقوية جديدة للحزب الشيوعي الصيني على حساب هيبة الكيومينتانغ.

أعتقد أنّه يجب استبعاد فكرة تطوّر الثورة الصينية تطوّراً سلميّاً.

أعتقد أنّ مجالس نواب العمال والفلاحين سيكون من الواجب تركيزها في الصين خلال مرحلة الانتقال من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة العمالية. وفي الظروف الحالية يستحيل الانتقال دون مجالس نواب العمال والفلاحين.

من الضروري قبل كلّ شيء دفع الحركة الزراعية حتّى تتطوّر في كامل الصين وتقوية حكومة ووهان ودعمها في النضال ضدّ النظام الإقطاعي البيروقراطي، ومن الضروري مساعدة ووهان حتّى تنجز الانتصار على أعداء الثورة، ومن الضروري بالمعنى الواسع والكوني، تطوير الجمعيات الفلاحية ونقابات العمال وغيرها من المنظّمات الثورية من جهة أنّها الأساس الذي سترتكز عليه المجالس في المستقبل، ومن الضروري دفع الحزب الشيوعي الصيني حتّى يقوّي من تأثيره في الفلاحين وفي الجيش؛ فقط بعد كلّ ذلك يمكن تركيز مجالس نواب العمال والفلاحين كأجهزة للتضال في سبيل سلطة الجديدة، كعناصر في سلطة مزدوجة، كعناصر لتحضير الانتقال من الثورة الديمقراطية البرجوازية إلى الثورة العمالية.

ليس تركيز المجالس العمالية في الصين موضوع كلام أجوف أو خطابة «ثورية» جوفاء. ولا يمكن أن تقدّر هذه القضية باستخفاف مثلما يفعل تروتسكي.

إنّ تأليف مجالس العمال والفلاحين يعني، أولاً، الانسحاب من الكيومينتانغ؛ لأنّك لا تستطيع أن تركز مجالسنا وأن تبشّر بسلطة مزدوجة من خلال دعوة العمال

والفلاحين إلى أن يركزوا سلطة جديدة في ذات الوقت الذي تكون فيه داخل الكيومينتانغ وحكومته.

وتركيز مجالس نواب العمال يعني، أيضا، أن نعوض التكتل الحالي داخل الكيومينتانغ بتكتل من خارجه، تكتلا يشبه لذاك الذي كان بين البلاشفة ويسار الاشتراكيين الثوريين في أكتوبر 1917.

لماذا؟ لأنه إذا ما تعلق الأمر بثورة ديمقراطية برجوازية كانت القضية تركيز دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية وسياسة توافقها تماما قوامها التكتل في الكيومينتانغ. أما إذا ما تعلق الأمر بتأليف المجالس والانتقال إلى الثورة العمالية فستكون القضية تركيز الدكتاتورية العمالية، تركيز سلطة المجالس؛ فلا يمكن أن تُحضر هذه السلطة وتُركز إلا بقيادة حزب واحد: الحزب الشيوعي.

بالإضافة إلى ذلك، يترتب على مجالس نواب العمال واجبات. يجني العامل الصبني اليوم ما بين 8 و15 روبلا في الشهر. ويعيش في ظروف لا تطاق. وهو مرهق جدًا بطول مدة العمل. وهذا الوضع يجب، ومن الممكن، إنهاءه فوراً برفع الأجور وبتطبيق يوم عمل من ثمان ساعات وتحسين ظروف سكن الطبقة العمالية، الخ.

لكن عندما تكون هنالك مجالس نواب العمال سوف لن يرضى العمال بذلك. وسيقولون للشيوعيين (وهم على حق): بما أنه أصبح لدينا مجالس وبما أن هذه المجالس هي أجهزة السلطة فلما لا نُغير قليلا على البرجوازيين فنجدهم «القليل» مما يملكون؟ سيكون الشيوعيون فارغي الأيدي إذا لم يجزّدوا البرجوازية من ملكيتها في الوقت الذي توجد فيه مجالس نواب العمال والفلاحين.

لكن القضية التي أمامنا هي هل نطبق ذلك الآن في المرحلة الحالية من الثورة؟ كلا، لا يجب علينا ذلك.

هل يمكننا، وهل يجب علينا أن نمسك عن تجريد البرجوازية من ملكيتها في المستقبل لما يكون هنالك مجالس نواب العمال والفلاحين؟ لا. لكن الذي يفكر في أنه وإذا ما كانت الحالة تلك سنحافظ على التكتل داخل الكيومينتانغ، فإنما هو يعمل في ضلال الأوهام ولا يفهم مجرى صراع القوى الطبقيّة في مرحلة الانتقال من الثورة البرجوازية إلى الثورة العماليّة.

على هذا النحو تطرح قضية تركيز مجالس نواب العمال والفلاحين في الصين. وكما ترون، ليس الأمر في غاية البساطة مثلما يدعي أناس نيري الفكر أمثال تروتسكي وزينوفيف.

هل، بوجه عام، يُسمح للماركسي، من الناحية المبدئية، أن يقف إلى جانب البرجوازية الثورية وأن يتعاون معها في إطار حزب ديمقراطي ثوري مشترك أو في حكومة ديمقراطية ثورية مشتركة؟

يعتقد بعض الانتهازيين أنّ ذلك غير مسموح به. لكنّ تاريخ الماركسيّة يقول لنا أنّ ذلك مسموح به تماما في بعض الظروف ولفترة معيّنة.

يمكنني أن أشير، كمثال، إلى ماركس بخصوص ألمانيا عام 1848، حين كانت الثورة ضدّ الحكم المطلق الألماني، وحيث التحق ماركس ورفاقه بالرابطة الديمقراطيّة البرجوازيّة في الرينان، وكان ماركس محرّر المجلّة الرينانيّة الجديدة لسان حال ذلك الحزب الديمقراطي الثوري.

لقد انضمّ ماركس إلى هذه الرابطة الديمقراطيّة البرجوازيّة ليستغلّ البرجوازيّة الثوريّة لكنّه نقد ورفاقه، بكلّ جرأة، وخلق حلفاءه على اليمين. كذلك الحال عند الحزب الشيوعي الصيني، فهو ينضمّ إلى الكيومينتانغ ويجب أن ينقد بقوة تردّد وخلق حلفاءه في يسار الكيومينتانغ.

نحن نعلم أنّ ماركس ورفاقه قد غادروا تلك البطولة الديمقراطيّة البرجوازيّة فقط في ربيع عام 1849، ليشرعوا في تأليف منظمة مستقلّة للطبقة العماليّة ذات سياسة طبقيّة تامّة الاستقلال.

كما ترون، لقد ذهب ماركس أبعد ممّا ذهب إليه الحزب الشيوعي الصيني الذي هو حزب مستقلّ للطبقة العماليّة داخل الكيومينتانغ.

من الممكن معرفة ما إذا كان من المناسب لماركس ورفاقه أن ينضمّوا إلى تلك الرابطة الديمقراطيّة البرجوازيّة عام 1848. فمثلاً، رأت روزا لكسمبورغ أنّه كان على ماركس ألاّ ينضمّ إليها. تلك قضية تكتيكية. لكن أن يكون ماركس وأنجلس قد أوليا اهتماماً، من التاحيّة المبدئيّة، إلى إمكانيّة وفرص الانضمام إلى حزب ديمقراطي برجوازي في إحدى مراحل الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة في بعض الظروف ولفترة معيّنة فذلك أمر لا شكّ فيه. أمّا إذا كما نريد أن نعرف ما إذا كان على الماركسيّين أن يشاركو وينسقوا مع البرجوازيّة الثوريّة في ظروف محدّدة وفي وضع بعينه فلدينا لذلك مواقف الماركسيّين مثل أنجلس ولينين. ونعلم أنّ أنجلس، في كراسه «الباكوتيون في العمل»، تحدّث في صالح مثل تلك المشاركة. ونعلم أنّ لينين، عام 1905، قال كذلك أنّ تلك المشاركة في الحكومة الديمقراطيّة الثوريّة البرجوازيّة مقبولة.

5. خطّان

نعم، أماننا خطّان مختلفان في القضية الصينيّة تمام الاختلاف: خطّ الأميّة الشيوعيّة وخطّ تروتسكي وزينوفيف.

خطّ الأميّة الشيوعيّة. الأساس في الحياة الصينيّة في الصين اليوم هو بقايا الإقطاع والبنية الفوقية البيروقراطية العسكرية المرتكزة عليها والتي تتلقّى كامل الدّعم من إمبريالي كل البلدان. لذا تمرّ الصين حاليّاً بثورة زراعيّة موجهة ضدّ بقايا الإقطاع والإمبرياليّة في ذات الوقت. وتمثّل الثورة الزراعيّة في الصين قاعدة الثورة الديمقراطيّة البرجوازيّة ومحتواها. ويمثّل كيومينتانغ ووهان وحكومته مركز الحركة

الديمقراطية الثورية البرجوازية. أما نانكين وحكومتها فتمثلان مركز الثورة المضادة القومية.

إن سياسة دعم ووهان هي في ذات الوقت سياسة تطوير الثورة الديمقراطية البرجوازية بكل ما ينجر عنها. فكانت مشاركة الشيوعيين في كل من كيومينتانغ ووهان وحكومة ووهان لا تلغي، بل تفترض، أن ينتقد الشيوعيون ما خلفائهم في الكيومينتانغ من خجل وتردد.

يجب على الشيوعيين أن يستغلوا هذه المشاركة حتى يسهلوا دور هيمنة الطبقة العاملة الصينية في الثورة الديمقراطية البرجوازية وتعجيل لحظة الانتقال إلى الثورة العاملة.

عندما تقترب لحظة انتصار الثورة الديمقراطية البرجوازية انتصارا تاما، وعندما يصبح طريق الانتقال إلى الثورة العاملة واضحا خلال مجرى الثورة الديمقراطية البرجوازية، عندئذ يكون الوقت قد حان لضرورة تركيز مجالس نواب العمال والفلاحين والجنود كعناصر سلطة مزدوجة؛ كأجهزة نضال في سبيل السلطة الجديدة، كأجهزة للسلطة السوفيتية الجديدة.

يجب على الشيوعيين، عندما يحين ذلك الوقت، أن يعوضوا التكتل داخل الكيومينتانغ بتكتل آخر خارج الكيومينتانغ، ويجب على الحزب الشيوعي الصيني أن يصبح القائد الوحيد في الثورة الجديدة في الصين.

أما أن نقترح الآن، مثلما فعل تروتسكي وزينوفيف، تأليف مجالس نواب العمال والفلاحين فورا، وأن نركز الآن سلطة مزدوجة فورا في حين لا تزال الثورة الديمقراطية البرجوازية في أولى مراحل تطورها ولا يزال الكيومينتانغ يمثل الشكل التنظيمي للثورة الديمقراطية الوطنية الأكثر ملاءمة والأكثر مطابقة للخصوصيات المميزة للصين، إنَّما سيكون ذلك تفككا في الحركة الثورية وإضعافا لوهان وتسهيلا لسقوطها وتقديما للعون إلى تشان كاي-تشيك.

خط تروتسكي وزينوفيف. بقايا الإقطاع في الصين هي نتاج مختلة بوخارين، فلا وجود لها في الصين أبداً، أو هي على ضعف إلى حدّ أنه لا يمكن أن تكون بعض أهمية جدية. ويبدو أنّ ما من ثورة زراعية في الوقت الحالي في الصين. لكن من أين قدمت؟ لا يعلم ذلك إلا الشيطان (ضحك).

لكن هناك تلك الثورة الزراعية. ويجب أخذها بالحسبان على نحو معين.

والأمر الأساسي في الساعة الزاهنة ليس الثورة الزراعية بل ثورة في سبيل استقلال الصين الجمركي، ثورة ضدّ التبعية الجمركية إن أمكن أن نقول ذلك.

كيومينتانغ ووهان وحكومة ووهان هما خدعة (تروتسكي) أو كالمية (زينوفيف).

فمن جهة أولى، يجب تركيز سلطة مزدوجة للإطاحة بحكومة ووهان عبر تأليف المجالس فوراً (تروتسكي). ومن جهة ثانية، يجب تقوية حكومة ووهان ويجب أن تقدّم له السند الأكثر حيوية عبر تأليف المجالس فوراً على ما يبدو أيضاً.

يجب على الشيوعيين، حقاً، أن ينسحبوا فوراً من هذه «الخدعة»؛ من حكومة ووهان وكيومينتانغ ووهان. لكن ورغم ذلك سيكون من الأنسب إذا ما بقوا في هذه «الخدعة»؛ في حكومة ووهان وكيومينتانغ ووهان. لكن لماذا يجب عليهم أن يبقوا في ووهان إذا ما كانت ووهان «خدعة» - لا يعلم ذلك إلا الله. وكلّ من لم يوافق على ذلك هو متهاون وخائن.

ذلك هو ما يسمّى بخط تروتسكي وزينوفيف.

إنّه يصعب تخيل خطأ أكثر فحاشة وتشوشاً من هذا الخط.

يظهر أننا نواجه لا ماركسيين بل رهطاً من البيروقراطيين لا صلة لهم بالحياة، أو بالأحرى سياتح «ثورتيون» كانوا منشغلين بالتجول في سوخوم (Sukhum) وكيسلوفودسك (Kislovodsk) وما شابهها من المناطق، في الوقت الذي كان فيه الاجتماع السابع الموسع لتنفيذية الأمانة الشيوعية يحدّد الموقف الأساسي من الثورة

الصينية، ليعلموا فيما بعد، عبر الجرائد، أنّ شيئاً ما قد حصل من قبيل ثورة في الصين - هل كانت ثورة زراعية أم ثورة معادية للتبعية الجمركية، فذلك غير واضح-، ورأوا أنّ من الضروري أن يألفوا حزمة من الأطروحات، بعضها الأول في نيسان وبعضها الثاني في بداية أيار وبعضها الآخر في آخر أيار، وإذ فرغوا منها أمطروا بها تنفيذية الأمانة الشيوعية ذاهبا في اعتقادهم أنّ ذلك الكم الكبير من الأطروحات المشوشة والمتناقضة سيكون أحسن وسيلة لإنقاذ الثورة الصينية.

أيها الرفاق، ذاك هما الخطآن في الثورة الصينية.

ولكم الخيار.

أيها الرفاق، أختم خطابي:

أريد أن أقول بعض الكلمات، في الختام، في المغزى السياسي والأهمية للإعلان الانقسام الذي قدمته تروتسكي وزينوفيف في الوقت الحالي. إنهما يحتجان على كونها ليس لها الحرية الكافية لمارسا ما يحلو لهما من خروقات وتشويبات لا سابق لها داخل الأمانة الشيوعية والحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد السوفيتي. فما يريدانه، أساسا، هو حرية العمل على تفكيك الأمانة الشيوعية والحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد السوفيتي، ما يريدانه، أساسا، هو أن يزرعا تقاليد ماسلو وجماعته داخل الأمانة الشيوعية والحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد السوفيتي.

أيها الرفاق، يجب أن أقول أن تروتسكي اختار لحظة غير مناسبة لتهمجته على الحزب والأمانة الشيوعية. لقد بلغني خبر مفاده أن حكومة المحافظين البريطانية قد قررت قطع علاقاتها باتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية. وليس هنالك من حاجة حتى نبرهن على أنّ ذلك ستنبعه حملة عالمية على الشيوعيين، فنلك الحملة قد بدأت فعلا. فالبعض يهدد الحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد السوفيتي بالحرب والتدخل، والبعض الآخر يهدده بالانشقاق. لقد بدأ يتشكل شيء من قبيل الجبهة المتحدة من تشامبرلين حتى تروتسكي.

قد يكون ذلك لإخافتنا. لكن لسنا في حاجة حتى نبرهن على أنّ البلاشفة ليسوا من النوع الذي يخاف. لقد شهد تاريخ البلشفية العديد من تلك «الجبهات». وبين تاريخ البلشفية أنّ تلك «الجبهات» قد حطّما ما كان للبلاشفة من تصميم ثوري وشجاعة عليا.

يجب ألا يساوركم الشكّ في أنّنا سنحطّم هذه «الجبهة» الجديدة أيضا ❖

نشر لأول مرة باللّغة الروسية في:

البلشفي، عدد 10، 31 أيار 1927.

المصدر المعتمد في الترجمة:

THE REVOLUTION IN CHINA AND THE TASKS OF
THE COMINTERN

*Speech delivered at the Tenth Sitting, Eighth Plenum of
the ECCI, May 24, 1927*

J. Stalin: Works, Vol. 9, p. 288-318

Foreign Languages Publishing House

Moscow, 1954

ملاحظات في مواضيع راهنة

2. الصّين، 28 تموز 1927

يمكننا الآن وقد دخلت الثورة الصينية طورا جديدا من التطور أن نقيم الطريق الذي سلكته وتحقق من خطأ الأُمّة الشيوعية في الصين.

ثمّة جملة من المبادئ التكنيكية اللينينية إذا لم ننظر فيها استتالت قيادة صحيحة للثورة، واستتال تحقق صحيح من خطأ الأُمّة الشيوعية في الصين. فقد نسي أنصار المعارضة تلك المبادئ منذ زمن بعيد. ولأنّها تحديدا تشتكي فقرات من الضروري أن نذكر بتلك المبادئ التكنيكية مرارا وتكرارا.

إليك المبادئ التكنيكية اللينينية:

- المبدأ الذي يقضي أن نأخذ ما يوجد من ممّيز وخاص قوميا في كلّ بلد بمفرده بعين الاعتبار وجوبا عندما نصوغ تعاليم الأُمّة الشيوعية للحركة العالمية في تلك البلدان.

- المبدأ الذي يقضي أن يستغلّ الحزب الشيوعي في كلّ بلد حتى أقلّ إمكانية ليضمن للطبقة العالمية حليفا جاهريا ولو كان حليفا مؤقتا وغير ثابت وهشّا وغير موثوق.

- المبدأ الذي يقضي أن نتمسك بحقيقة أنّ الدّعاية والتحرّيز لا يكفيان لتربية الجماهير الغفيرة تربية سياسية؛ فمن اللازم أن تقوم الجماهير بتجربتها السياسية الخاصة بها.

أعتقد أننا إذا لم نأخذ هذه المبادئ التكتيكية اللينينية بعين الاعتبار استحال علينا الشروع في تفحص خطأ الأممية الشيوعية في الثورة الصينية تفحصا ماركسيًا.

رغم التطور الإيديولوجي يوجد بيننا، في صفوف حزبنا، ضرب من «القادة» يعتقدون بكل ثقة أنّ من الممكن قيادة الثورة في الصين بتلغراف أساسه الأطروحات العامة للأممية الشيوعية، تلك الأطروحات التي يعرفها الجميع وصادق عليه الجميع، دون أن نأخذ المميزات القومية في الاقتصاد الصيني وفي الثقافة الصينية، وفي العادات والتقاليد الصينية بعين الاعتبار. فهؤلاء «القادة» يختلفون، على وجه التحديد، عن القادة الحقيقيين بأن لهم في جيوبهم صيغتان أو ثلاث صيغ جاهزة و«صالحة» لجميع البلدان، و«ضرورية» في جميع الظروف. فلا توجد عندهم أبدا قضية علاقة الأطروحات العامة للأممية الشيوعية بالمميزات القومية عند الحركة الثورية في كل بلد، وتطويع الأطروحات العامة للأممية الشيوعية للمميزات القومية والسياسية في مختلف البلدان.

إنهم لا يفهمون أنه الآن وقد عظمت الأحزاب الشيوعية وباتت أحزابا جاهريّة، أصبحت المهمة الرئيسيّة عند القيادة هي أن تكتشف وتقف على المميزات القومية عند الحركة في كل بلد، فتربطها بحكمة بالأطروحات العامة للأممية الشيوعية حتى يسهل تطبيق وتحقيق الأهداف الرئيسيّة عند الحركة الشيوعيّة.

ومن هنا كانت محاولة خلق قوالب توجيهية لكل البلدان، وكانت محاولة غرس بضع صيغ عامة غرسا آليا دون أخذ الظروف الملموسة عند الحركة في كل بلد بعين الاعتبار؛ فقام تصادم أزلي بين الصيغ والحركة الثورية في مختلف البلدان كنتيجة جوهريّة عند قيادة أولئك القادة التّعساء.

ينتمي أنصار المعارضة عندنا إلى هذا الصنف من القادة التّعساء على وجه التّحديد.

علمت المعارضة أنّ ثورة برجوازية تجري في الصين، وتعلم أيضا أن الثورة البرجوازية في روسيا كانت موجهة ضدّ البرجوازية؛ فإذا بصيغة جاهزة للصين:

ليسقط كلّ عمل مشترك مع البرجوازية. وليعيش انسحاب الشيوعيين الفوري من الكيومينتانغ (نيسان 1926).

لكن، نسيت المعارضة أنه على خلاف روسيا في عام 1905، فإنّ الصين بلد شبه مستعمر تظهده الإمبريالية؛ ولهذا السبب باتت ثورة الصين لا مجرد ثورة برجوازية بل ثورة برجوازية من النوع المعادي للإمبريالية. فبسبب كون الإمبريالية في الصين تضع بين يديها الأساسي من عناصر الصناعة والتجارة والتقل، وبسبب كون نير الإمبريالية مسلط لا فقط على الجماهير الشغيلة في الصين بل هو مسلط أيضا على بعض الفئات من البرجوازية الصينية؛ فيمكن، إذن، أن تدافع البرجوازية الصينية عن الثورة الصينية في ظروف محدّدة لزمن محدّد.

ذلك ما حدث كما نعلم. فإذا ما تناولنا من الثورة الصينية فترة كانتون؛ زمن بلوغ الجيوش الوطنية نهر يانغ-تسي-كيانغ وهي الفترة التي سبقت انشقاق الكيومينتانغ، لن يكون بإمكاننا أن ننكر دفاع البرجوازية الوطنية عن الثورة في الصين. وأنه قد اتضح أنّ خطأ الأئمة الشيوعية القاضي بقبول عمل مشترك مع تلك البرجوازية زمنًا محدّدًا في ظروف محدّدة كان مطلق الصحة.

النتيجة: تخلّت المعارضة عن صيغها القديمة وأعلنت صيغا أخرى «جديدة» مفادها أنّ العمل المشترك مع البرجوازية الصينية ضروري، فلا يجب أن ينسحب الشيوعيون من الكيومينتانغ (نيسان 1927).

كان ذلك أول عقاب يسلّط على المعارضة لرفضها أخذ المميزات القومية في الثورة الصينية بعين الاعتبار.

علمت المعارضة أن حكومة بيكين تخاصم ممثلي الدول الإمبريالية في الاستقلال الجمركي في الصين. وتعلم المعارضة أن الاستقلال الجمركي ضروري قبل كلّ شيء للزّاساليين الصينيين. وإذا بصيغة جاهزة تماما: الثورة الصينية ثورة وطنية معادية للإمبريالية هدفها الرئيسي كسب استقلال الصين الجمركي.

لكن نسبت المعارضة أنّ قوة الإمبريالية في الصين لا تكمن في الحواجز الجمركية بل خصوصا في ما تمتلكه في الصين من مصانع ومعامل ومناجم وسكك حديدية وبواخر وبنوك ومؤسّسات تجارية تمتصّ دم عدد عظيم من عمال الصين وفلاحها.

لقد نسبت المعارضة أنّ التضال الثوري الذي يخوضه الشعب الصيني ضدّ الإمبريالية يُفسّر، قبل كلّ شيء، وعلى الأخصّ، بكون الإمبريالية في الصين هي القوة التي تُسند المستغلّين المباشرين للشعب الصيني - إقطاعيون، عسكريون، رأسماليون، بيروقراطيون، الخ-، وبكون العمال والفلاحين الصينيين لن يستطيعوا الانتصار على مستغلّهم إذا لم يخوضوا، في ذات الوقت، نضالا ثوريا ضدّ الإمبريالية.

تنسى المعارضة أنّ هذه الحالة تحديدا هي أحد العوامل الجوهرية التي تمكّن من تحويل الثورة البرجوازية ثورة اشتراكية في الصين.

تنسى المعارضة أنّ من يجد في الثورة الصينية المعادية للإمبريالية ثورةً من أجل الاستقلال الجمركي إنّما هو ينفي إمكان تحويل الثورة البرجوازية في الصين ثورةً اشتراكية لأنه يسلم الثورة الصينية إلى قيادة البرجوازية الصينية.

والحق أنّ الوقائع بيّنت، فيما بعد، أنّ الاستقلال الجمركي هو من جملة الأساس أرضية البرجوازية الصينية؛ فحتى أولئك الرّجعيّون الكبار أمثال تشانغ تسولين وتشانغ كاي-تشانك يتشدّدون اليوم في إلغاء المعاهدات الجائرة وإرساء استقلال الصين الجمركي.

وهنا كانت ازدواجية المعارضة: محاولتها تجنّب صيغتها الخاصة المتعلقة بالاستقلال الجمركي؛ ومحاولة نفيها بالكتمان والاتحاق بموقف الأممية الشيوعية المتعلّق بإمكان تحويل الثورة البرجوازية في الصين ثورةً اشتراكية.

كان ذلك ثاني عقاب سلّط على المعارضة لرفضها درس المميّزات القومية في الثورة الصينية درسا جيّدا.

علمت المعارضة أنّ البرجوازية التجارية تسلّلت إلى الزيف الصيني وأجرت الفلاحين الفقراء الأرض. وتعلم المعارضة أنّ التاجر ليس إقطاعيًا. فإذا بصيغة جاهزة تماما: لا أهمية جدّية في بقايا الإقطاع، وبالتالي في نضال الفلاحين ضدّ مخلفات الإقطاع من جهة الثورة الصينيّة؛ فالرئيسي اليوم في الصين ليس الثورة الزراعيّة بل هو التبعيّة السياسيّة-الجمركيّة للبلدان الإمبرياليّة.

لكنّ المعارضة لا ترى أنّ أصالة الاقتصاد الصيني لا في تسلّل رأس المال التجاري إلى الزيف وإنّما في كون هيمنة مخلفات الإقطاع تندمج بوجود رأس المال التجاري في الزيف الصيني مع الحفاظ على استغلال واضطهاد الفلاحين بالطرق الإقطاعيّة من القرون الوسطى.

لا تفهم المعارضة أنّ الآلة العسكريّة والبيروقراطيّة في صين أيّامنا، تلك الآلة التي تنهب وتضطهد الفلاحين الصينيين بوحشيّة، هي الأساس بنية فوقيّة سياسيّة ترتفع على نظام متمرّج فيه هيمنة بقايا طرق الاستغلال الإقطاعي بوجود رأس المال البضاعي في الزيف.

والحقّ أن الوقائع بيّنت، فيما بعد، أنّ ثورة زراعيّة عظيمة قد اندلعت في الصين؛ ثورة موجهة، قبل كلّ شيء، وعلى الأخصّ، ضدّ الإقطاعيين في الصين كبارا وصغارا.

وبيّنت الوقائع أن هذه الثورة قد جرّت عشرات الملايين من الفلاحين وأنها تمتدّ لتشمل كامل الصين.

لقد بيّنت الوقائع أنّ الإقطاعيين الحقيقيّين والأحياء ليسوا موجودون فحسب بل يسكنون بالسلطة في جملة كاملة من المحافظات، ويفرضون إرادتهم على قيادة الجيش، ويخضعون قيادة الكيوميّنتانغ لتأثيرهم، ويسدّدون للثورة الصينيّة الضربة تلو الضربة.

إنّ من ينفي بعد ذلك وجود بقايا الإقطاع ونظام الاستغلال الإقطاعي من جهة أنّه الشكل الرئيسي للاضطهاد في الزيف الصيني، إنّما هو لا يعترف بعد ذلك

بأن الثورة الزراعيّة هي واقع جوهري في الحركة الثوريّة الصّينيّة في الوقت الحالي. وما كلّ ذلك سوى سير عكس الوقائع البديهيّة.

لذا، تخلّت المعارضة عن صيغتها القديمة المتعلقة ببقايا الإقطاع والثورة الزراعيّة. ولهذا السبب تبعث المعارضة عن التخلي عن صيغتها القديمة بتكتم وقبول مواقف الأُمّيّة الشّيعيّة ضمنيًا.

كان ذلك ثالث عقاب يسلّط على المعارضة لرفضها أن تأخذ المميّزات القوميّة في اقتصاد الصّين بعين الاعتبار.

الح، الح...

تناقض بين الصيغ والوقائع ذلك ما يقف عليه أولئك القادة التّعساء.

ينبج ذلك التناقض مباشرة من رفض المعارضة المبدأ التكتيكي اللينيني المعروف جيّدًا والذي يقضي بأن نأخذ ما يوجد من مميّز قوميًا وخاص قوميًا في الحركة الثوريّة في كلّ بلد مفرد بعين الاعتبار.

إليكم كيف يصوغ لينين هذا المبدأ:

﴿المهمّ اليوم هو أن يعي الشيوعيون في كلّ بلد وعيا تامًا، من جهة أولى بالأهداف الأساسيّة—أهداف مبدئيّة- في التّضال ضدّ الاتّهازيّة والعقائديّة «اليساريّة»، ومن جهة ثانية بالخصائص الملموسة التي يتّخذها هذا التّضال والتي لا بدّ أن يتّخذها في كلّ بلد مفرد، وفقا للخصائص المميّزة التي تسم اقتصاده وسياسته وثقافته وتركيبه القومي (ايرلندا وغيرها) ومستعمراته وطوائفه الدّينيّة وغير ذلك. ففي كلّ مكان نلمس اتّساع عدم الرضا بالأُمّيّة الثّانية وتعاطمه، أكان ذلك بسبب اتّهازيّتها أم بسبب عجزها عن خلق منظرّة ممرّكة حقًا بمثابة مركز قيادي كفء لتوجيه تكتيك الطبقة العماليّة الثّوريّة العالمي في نضالها في سبيل جمهوريّة سوفييتيّة عالميّة. يجب أن ندرك بوضوح أنّه لا يمكن أبدا أن يؤسّس مثل ذلك المركز القيادي عمله على القوالب والسّطحية والمثالّة الآليّة في قواعد التّضال

التكتيكية. فما دام اختلاف الشعوب والبلدان في القومية والسياسية قائم، وستبقى تلك الاختلافات زماً طويلاً جداً حتى بعد تحقيق دكتاتورية الطبقة العاملة في النطاق العالمي، فإن وحدة التكتيك العالمي عند الحركة العاملة الشيوعية في كل البلدان لا يتطلب إزالة التنوع ولا استئصال الاختلافات القومية (فما ذلك الآن إلا حلم سخيف) بل يتطلب تطبيق المبادئ الأساسية في الشيوعية (سلطة السوفييتات ودكتاتورية الطبقة العاملة) تطبيقاً يغير على نحو صحيح تلك المبادئ في القضايا الخاصة، ويلائمها ويعدلها وفق ما تتطلبه الخصوصيات القومية والسياسية. البحث والدراسة والاكتشاف والاستشراف والفهم في ما يوجد من خصوصية قومية وسمّة قومية في الطريقة العملية التي يتناول فيها كل بلد حلّ القضية العالمية المشتركة بين الجميع: هزم الانتهازية والعقائدية اليسارية في الحركة العاملة والإطاحة بالبرجوازية وتركيز جمهورية السوفييتات ودكتاتورية الطبقة العاملة - تلك هي المهمة الرئيسية الملقاة على عاتق جميع البلدان المتقدمة (وليس البلدان المتقدمة وحدها) في اللحظة التاريخية التي نجتازها (لبنين، «اليسارية» مرض طفولي في الشيوعية، المجلد 25، ص 60)

خط الأممية الشيوعية هو الخط الذي يقضي بأن نأخذ هذا المبدأ التكتيكي في اللينينية بعين الاعتبار جبراً.

خط المعارضة هو عكس ذلك فهو يقطع الصلة بهذا المبدأ.

تكمّن جذور ضلال المعارضة في قضايا طابع الثورة الصينية وآفاقها في ذلك القطع على وجه التحديد.

لنتقل إلى المبدأ التكتيكي الثاني في اللينينية.

تنساب قضية حلفاء الطبقة العاملة في نضالها في سبيل الثورة المطفرة من طابع الثورة الصينية وآفاقها.

إنّ قضية حلفاء الطبقة العاملة هي واحدة من القضايا الأساسية في الثورة الصينية.

تجد الطبقة العالّية الصّينيّة عدوّاً قويّاً أمامها: الإقطاعيّون كباراً وصغاراً، الجهاز العسكري والبيروقراطي من العسكريين القدماء والجدد، والبرجوازيّة الوطنيّة المعادية للتّورة، وإمبريالي الشرق والغرب الّذين وضعوا بين أيديهم الجوهري من عناصر الحياة الاقتصاديّة في الصّين ويسندون حقّهم في استغلال الشعب الصّيني بجيشي البرّ والبحر.

فلأجل هزم أولئك الأعداء الأقوياء يجب على الطبقة العالّية، من مجمل ما يجب عليها، أن تسلك سياسة مرنة ومتبسّرة وأن تحسن استغلال أي تصدّع في معسكر الأعداء وأن تحسن إيجاد حلفاء حتّى إنّ قلّ ثباتهم وقلّت صلابتهم لكن شرط أن يكونوا أقوياء في العدد ولا يضيّقوا الخناق أبداً على ما يقوم به حزب الطبقة العالّية من دعاية وتحريض ثوريين وأن لا يضيّقوا الخناق أبداً على عمل ذلك الحزب في تنظيم الطبقة العالّية والجماهير الشغيلة.

إن هذه السياسة هي المطلب الجوهري الّذي يقضي به المبدأ التكتيكي الثّاني في اللينينيّة. فبدون سياسة كالتي ذكرنا استحالة نصر الطبقة العالّية.

تعتقد المعارضة أنّ هذه السياسة خاطئة وغير لينينيّة. لا يبيّن ذلك سوى أنّها فقدت آخر بقايا اللينينيّة، وأنّها بعيدة عن اللينينيّة بعد السّماء عن الأرض.

هل كان للطبقة العالّية الصّينيّة حلفاء من ذاك القبيل الّذي ذكرنا في الماضي القريب؟

نعم. كان لها ذلك.

فلما كانت التّورة عند أوّل مراحلها، مرحلة الجبهة الوطنيّة العامّة المتّحدة (مرحلة كاتون) كان الفلاحون وفقراء المدن والمتحقّون البرجوازيون الصّغار والبرجوازيّة الوطنيّة حلفاء الطبقة العالّية.

إنّ إحدى مميزات الحركة الثورية الصينية هي أنّ ممثلو تلك الطبقات قاموا والشيوعيين بعمل مشترك في ذات المنظمة الثورية البرجوازية الوحيدة التي تسمى الكيومينتانغ.

لم يتساوى أولئك الحلفاء في الإخلاص. ولا يمكن أن يكونوا إلا كذلك. فكان بعضهم حليفاً أكثر إخلاصاً (الفلاحون وفقراء المدن) وكان بعض ثان حليفاً أقلّ إخلاصاً ومتردّداً (المتفقون البرجوازيون الصغار) وكان البعض الأخير حليفاً لا إخلاص له مطلقاً (البرجوازية الوطنية).

لا جدال في أنّ الكيومينتانغ كان منظمة جماهيرية إلى حدّ معين. وقامت سياسة الشيوعيين فيه آنذاك على عزل ممثلي البرجوازية الوطنية (اليمن) من خلال استغلالهم في صالح الثورة؛ ودفع المثقفين البرجوازيين الصغار (اليسار) نحو اليسار؛ وجمع الفلاحين وفقراء المدن حول الطبقة العاملة.

هل كانت كاتون آنذاك مركز الحركة الثورية في الصين. نعم. لا جدال في ذلك. ولا ينكره إلا مغترب.

ما كانت نجاحات الشيوعيين في تلك الفترة؟ ببلوغ جيوش كاتون نهر يانغ-تساي-كيانغ اتّسعت رقعة الأرض التي شملتها الثورة؛ إمكان تنظيم الطبقة العاملة تنظيمياً علنياً (نقابات، لجان الإضراب)؛ توحد المنظّمات الشيوعية في حزب؛ خلق أولى الخلايا التنظيمية الفلاحية (اتحادات الفلاحين)؛ تسلّل الشيوعيين إلى الجيش.

يتّضح من ذلك أنّ قيادة الأمانة الشيوعية في تلك الفترة كانت على صواب تامّ. في زمن المرحلة الثانية من الثورة الصينية، لمّا انتقل تشان كاي-تشاك والبرجوازية الوطنية إلى معسكر أعداء الثورة، وانتقل مركز الحركة الثورية من كاتون إلى ووهان كان الفلاحون وفقراء المدن والمثقفون البرجوازيون الصغار حلفاء الطبقة العاملة.

كيف نفسّر انتقال البرجوازية الوطنية إلى معسكر أعداء الثورة؟ أولاً، الخوف الذي تملكها من اتساع حركة العمال الثورية. ثانياً، الضغط الذي مارسه عليها الإمبرياليون في شنغهاي.

لقد خسرت الثورة، على هذا النحو، البرجوازية الوطنية. كانت خسارة جريئة في الثورة. لكن الثورة كانت قد دخلت مرحلة من تطورها أعلى، هي مرحلة الثورة الزراعية، وجذبت إليها وعلى نحو كبير جماهير الفلاحين العظيمة. كان ذلك عاملاً في صالح الثورة.

هل كان الكيومينتانغ منظمة جماهيرية في ثاني مراحل الثورة. نعم. لا جدال في ذلك. وإنه لأمر أكيد أن كان منظمة أكثر جماهيرية مما كان له زمن كانتون.

إذن، هل كانت ووهان مركز الحركة الثورية؟ نعم. لا جدال في ذلك. ولا ينكره إلا أعمى. فلو كان الأمر على خلاف ذلك لما كانت ووهان (هوجاي، هو-نان) آنذاك قاعدة نهوض أقصى في الثورة الزراعية التي يقودها الحزب الشيوعي.

قامت سياسة الشيوعيين نحو الكيومينتانغ على دفعه نحو اليسار وتحويله نواة دكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية.

هل ذلك التحويل ممكناً؟ نعم. وفي جميع الأحوال ما من سبب يدفع إلى الاعتقاد أنّ مثل تلك الإمكانيات مستبعدة. فنقول بكل وضوح: كي نجعل من كومينتانغ ووهان مركزاً لدكتاتورية العمال والفلاحين الديمقراطية الثورية يلزمنا شرطان: جعل الكيومينتانغ ديمقراطياً على نحو جذري؛ ومساعدته في الثورة الزراعية مساعدة مباشرة. إنّ عدم استغلال هذا التحويل سيكون ذلك أمراً أخرق من جانب الشيوعيين.

ما هي نجاحات الشيوعيين في تلك الفترة؟

تطوّر الحزب الشيوعي خلال تلك الفترة من حزب صغير يتراوح تعداده بين 5 و6 آلاف عضو إلى حزب كبير جماهيري يتراوح تعداده بين 50 و60 ألف عضو.

أصبحت النقابات الفيدرالية ضخمة تمتد في كامل الصين يناهز تعدادها 3 ملايين عضو.

تطورت منظمات الفلاحين القاعدية فأصبحت اتّحادات تضمّ عشرات الملايين من الفلاحين. واكتسبت حركة الفلاحين الزراعيّة أبعادا هائلة واحتلتّ موقعا مركزيا في الحركة الثورية الصينية. واكتسب الحزب الشيوعي إمكانية تنظيم الثورة علنا. وأصبح قائد الثورة الزراعيّة. وبدأت هممة الطبقة العماليّة تتحوّل من شعار إلى واقع ناجز.

الحق لم يستطع الحزب الشيوعي الصيني أن يستغلّ كلّ إمكانيات تلك الفترة. وصحيح أنّ لجنة الحزب الشيوعي الصيني التنفيذيّة وقعت في أخطاء خطيرة آنذاك. لكن سيكون من السّذاجة أن نعتقد أنّ بإمكان هذا الحزب أن يصبح حزبا بلشفيّتا حقيقيّتا ذي خطّ واحد على أساس تعاليم الأميّة الشيوعيّة. ولنتذكّر تاريخ حزينا الذي مرّ بجملة من الانقسامات والانشقاقات والخيانات وغيرها حتى فهم أنّ الأحزاب البلشفيّة حقّا لا تولد من خطّ واحد.

ينجح إذن أنّ قيادة الأميّة الشيوعيّة كانت صحيحة في تلك الفترة أيضا.

هل للطبقة العماليّة الصينية حلفاء الآن؟

نعم. لها ذلك.

الفلاحون وفقراء المدن هم حلفاؤها.

ما يميّز الفترة الحاليّة هو انتقال قيادة كيومينتانغ ووهان إلى معسكر أعداء الثورة؛ وتخلّي المثقّفين البرجوازيّين الصغار عن الثورة.

نفسر هذا التخلّي، أولا، بالخوف الذي تثيره الثورة الزراعيّة المتعاطمة في المثقّفين البرجوازيّين الصغار، والضّغط الذي يمارسه الإقطاعيون على قيادة ووهان؛ وثانيا، بالضّغط الامبريالي في منطقة تيان-تسين أين يفرضون على الكيومينتانغ مقاطعة الشيوعيّين مقابل السّاح لهم بالتحرك في الشّمال.

تشكّ المعارضة وفي وجود بقايا إقطاعية في الصين. لكن من الواضح الآن أن البقايا الإقطاعية لا توجد فحسب بل اتضح أنّها من زخم الثورة الحالي. وتحملت الثورة هزيمة مؤقتة لأنّ الامبرياليين والإقطاعيين، تحديداً، هم الأقوى في الصين.

لقد خسرت الثورة المثقفين البرجوازيين الصغار هذه المرة. وتلك علامة هزيمتها المؤقتة على وجه التحديد.

لكنّها جمعت، في المقابل، الجماهير الهائلة من الفلاحين وفقراء المدن على نحو قوي. وخلقت من ذلك مجالاً للهيمنة العمالية.

وإنّما ذلك للثورة حافر.

تفسّر المعارضة الهزيمة المؤقتة في الثورة بسياسة الأممية الشيوعية. لكن لا يقول كذا قولاً إلّا من قطع مع الماركسيّة. فمن كان في قطيعة مع الماركسيّة كان يطالب أن تنتهي السياسة الصحيحة إلى نصر فوري على العدو دائماً وبالضرورة.

هل كانت سياسة البلاشفة صحيحة زمن ثورة 1905؟ نعم. لقد كانت صحيحة. فلماذا منيت ثورة 1905 بهزيمة رغم وجود السوفييتات ورغم صحّة سياسة البلاشفة؟ لأنّ بقايا الإقطاع والحكم المطلق كانا آنذاك أقوى من حركة العمال الثورية.

هل كانت سياسة البلاشفة صحيحة في تموز 1917؟ نعم. لقد كانت صحيحة. فلماذا مني البلاشفة بالهزيمة من جديد رغم وجود السوفييتات التي خانتهم، ورغم صحّة سياسة البلاشفة؟ لأنّ الإمبريالية الروسية كانت أقوى من حركة العمال الثورية.

لا تؤدي السياسة الصحيحة إلى انتصار فوري على العدو دوماً وبالضرورة. فالانتصار الفوري على العدو لا تحدده سياسة صحيحة فحسب بل أيضاً وفي المقام الأول وعلى الأخص ميزان القوى الطبقيّة وهيمنة قوى الثورة هيمنة يئنة وتشدّت معسكر العدو ووضع عالمي ملائم.

إن سياسة صحيحة تسلكها الطبقة العاليتة لا تؤدّي إلى انتصار فوري إلّا في تلك الظروف.

لكنّ الالتزام بسياسة صحيحة على الدوام وفي جميع الظروف إمّا هو مطلب ضروري. إنّ هذا المطلب يقضي أن تتمي سياسة الحزب القدرة الكفاحية عند الطبقة العاليتة، وأن تضاعف صلاتها بالجماهير الشّغيلة، وأن تعلي نفوذ الطبقة العاليتة بين الجماهير، وأن تضمن هيمنة الطبقة العاليتة في الثّورة.

أيمكننا أن نجزم أنّه قد توقّر حدّ أدنى من الظروف الملائمة لانتصار فوري في الثّورة الصّينيّة خلال الفترة المنقضية؟

لا. ذلك بين.

أيمكننا أن نجزم بأن السياسة الشّيعوية في الصّين لا تعني القدرة الكفاحية عند الطبقة العاليتة ولم تضاعف صلاتها بالجماهير الواسعة ولم تعلي نفوذ الطبقة العاليتة بين تلك الجماهير؟ لا. ذلك بين.

إنّه لأعمى ذاك الذي لا يرى كيف أنّ الطبقة العاليتة الصّينيّة نجحت آنذاك في أن تعزل الجماهير الفلاحية الواسعة والمتثقفين البرجوازيين الصّغار معاً عن البرجوازية الوطنيّة وأن تجمّعهم حول رايّتها.

كان الحزب الشّيعوي قد مرّ بتكتل مع البرجوازية الوطنيّة في كانتون في أولى مراحل الثّورة حتّى يوسّع من رقعة الثّورة، ويجعل من نفسه حزبا جماهيريّا، ويتمكّن من تنظيم الطبقة العاليتة علنا، ويشقّ طريقه إلى الفلاحين.

وكان الحزب الشّيعوي قد مرّ بتكتل مع المتثقفين البرجوازيين الصّغار في الكيومينتانغ في ووهان خلال ثاني مراحل الثّورة حتّى يضاعف قواه، ويوسّع تنظيم الطبقة العاليتة، و يعزل جماهير الفلاحين الهائلة عن قيادة الكيومينتانغ، ويخلق ظروف هيمنة الطبقة العاليتة.

لقد انتقلت البرجوازية الوطنية إلى معسكر أعداء الثورة خاسرة صلاتها بالجمهير الشعبية الهائلة.

والتحق المثقفون البرجوازيون الصغار في كيوميتانغ ووهان بالبرجوازية الوطنية فزعا من الثورة الزراعية ومفوضين تماما أمام عيون جماهير الفلاحين التي لا تحصى.

أما جماهير الفلاحين العظيمة فقد تجمعت حول الطبقة العاملة على نحو أقوى، وباتت ترى فيها قائدها وزعيمها الوحيد المخلص.

أليس من الواضح أن مثل تلك النتائج لا يمكن أن تقدمها إلا سياسة صحيحة؟
أليس من الواضح أن قدرة الطبقة العاملة الكفاحية لا يمكن أن تنميا إلا مثل تلك السياسة؟

أهناك من ينكر ما في تلك السياسة من صواب وروح ثورية غير قادة معارضتنا التعماء؟

تؤكد المعارضة أن انتقال كيوميتانغ ووهان إلى معسكر أعداء الثورة يثبت أن التكتل معه في ثاني مراحل الثورة كان سياسة خاطئة.

لكن لا يتجرأ في الحديث على هذا النحو إلا من نسي تاريخ البلشفية وفقد آخر بقايا اللينينية.

هل كانت السياسة البلشفية التي قوامها التكتل الثوري مع يسار الاشتراكيين-الثوريين في أكتوبر وبعده إلى حدود ربيع 1917 سياسة صحيحة؟ أعتقد أن لا أحد بلغ به الأمر إلى حد الآن أن ينكر صحة ذلك التكتل. كيف انتهى ذلك التكتل؟ بانتفاض يسار الاشتراكيين-الثوريين على السلطة السوفيتية. فهل يمكننا أن نجزم على أساس ذلك أن سياسة التكتل مع يسار الاشتراكيين-الثوريين كانت خاطئة؟ لا. ذلك بين.

هل كانت سياسة التكتل مع كيوميتانغ ووهان في ثاني مراحل الثورة الصينية سياسة صحيحة؟ أعتقد أن ما من أحد إلى حد الآن ينكر صحة ذلك التكتل في ثاني مراحل الثورة. ولقد كانت المعارضة نفسها تؤكد صواب ذلك التكتل آنذاك (نيسان 1927). فكيف يمكننا أن نعلن الآن، وقد تخلت قيادة كيوميتانغ ووهان عن الثورة، أن التكتل الثوري مع كيوميتانغ ووهان كان سياسة خاطئة بسبب ذلك التخلي؟

أليس من الواضح أن من يقدم مثل هذه «الحجج» إنما هو عديم الشخصية؟

هل أكد أحد أن التكتل مع كيوميتانغ ووهان سيكون أزلنا ومطلقا؟ وهل توجد تكتلات أزلية ومطلقة في الطبيعة؟ أليس من الواضح أن المعارضة لم تفهم شيئا إطلاقا من المبدأ التكتيكي الثاني في اللينينية المتعلق بالتكتل الثوري من جانب الطبقة العاملة مع الطبقات والمجموعات غير العاملة.

إليكم كيف يصوغ لينين هذا المبدأ التكتيكي:

﴿لا يمكن هزم عدو أكثر قوة إلا ببذل أقصى الجهد ولا بدّ أثناء ذلك من الاستفادة كلّ الاستفادة، وبمنتهى الاهتمام واليقظة، من أيّ «صدع» فيما بين الأعداء مما كان ضئيلا، ومن أيّ تناقض في المصالح بين برجوازية مختلف البلدان، وبين مختلف المجموعات والفئات البرجوازية داخل كلّ بلد، وكذلك من الاستفادة من أيّة إمكانيّة، مما كانت ضئيلة، لكسب حليف جاهري، ولو كان حليفا مؤقتا ومتذبذبا وظرفيا وضعيفا وغير موثوق. ومن لم يفهم هذا الأمر إنّما لم يفهم ولو حرفا واحدا من الماركسيّة ومن الاشتراكية العلمية الحديثة بوجه عام. فمن لم يثبت عمليا، خلال مدّة طويلة جدّا وفي أوضاع سياسيّة متنوّعة جدّا، قدرته على تطبيق هذه الحقيقة في العمل، فإنّه لم يتعلّم بعدّ كيف يساعد الطبقة الثورية في نضالها في سبيل تحرير البشريّة الكادحة جمعاء من المستغلّين. وما أتيت على ذكره إنّما يصحّ على المرحلة التي تسبق استيلاء الطبقة العاملة والمرحلة تليها.﴾ (لينين، «اليسارية» مرض طفولي في الشيوعية، المجلّد 25، ص 227-228)

أليس من الواضح أنّ خطّ المعارضة هو الخطّ الذي يقطع مع هذا المبدأ
التكتيكي في اللينينية؟

أليس من الواضح أنّ خطّ الأممية الشيوعية هو الخطّ الذي يقضي أن نأخذ
هذا المبدأ التكتيكي بعين الاعتبار جبراً؟

لننتقل إلى المبدأ التكتيكي الثالث في اللينينية.

يتعلّق هذا المبدأ بقضية تغيير الشعارات، بعالم ذلك التغيير ووسائل إنجازه؛
ويتعلّق بقضية معرفة كيف يمكن أن تصبح شعارات الحزب شعارات الجماهير،
قضية معرفة كيف يمكن أن نصل بالجماهير إلى مواقف ثورية حتّى تفتنع بصحة
شعارات الحزب من خلال تجربتها السياسية الخاصة.

لا يمكننا أن نقع الجماهير بالدعاية والتّحريض حصراً. فذلك يستوجب تجربة
سياسة خاصّة بالجماهير نفسها. فيجب أن نحسّ أوسع الجماهير بنفسها وعلى
طريقتها الخاصة بضرورة الإطاحة بالتّظام القائم وضرورة إرساء نظام سياسي
واجتماعي جديد.

من المهمّ جدّاً أن يكون الحزب ذلك الجزء الطبيعي قد اقتنع بضرورة الإطاحة
بحكومة ميلوكو-كيرينسكي في نيسان 1917. لكن ذلك لا يكفي بعدُ حتّى نشرع في
توجيه العمل نحو الإطاحة بتلك الحكومة؛ فنجعل من شعار الإطاحة بالحكومة
المؤقتة وإرساء سلطة السوفييتات شعار الساعة. فحتّى نجعل من صيغة «كل
السلطة للسوفييتات»، وهي صيغة تعبّر عن أفق الفترة القريبة، شعار الساعة أي
شعار عمل فوري، نحتاج إلى حالة فاصلة وهي أن تفتنع الجماهير نفسها بصحة ذلك
الشعار وتقدّم للحزب عوناً في إنجازه.

يجب أن نميّز بدقة تناول الصيغة من جهة أنّها أفق المستقبل القريب من تناولها
من جهة أنّها شعار الساعة.

ذلك ما أحبط، تحديداً، مجموعة البلاشفة وعلى رأسها باغدادياف، لما أطلقت شعار «لتسقط الحكومة المؤقتة، كل السلطة للثوفايتات!» في وقت مبكر جداً وكان ذلك في بيتروغراد في نيسان 1917. وقد وصف لينين محاولة مجموعة باغدادياف تلك بأنها تحوي روح مغامرة خطيرة وحادها أمام الجميع.

فلم تكن الجماهير الواسعة في المؤخرة وفي الجهة جاهزة بعد لتقبل ذلك الشعار. وخلطت تلك المجموعة صيغة «كل السلطة للثوفايتات» من جهة أنها أفق بشعار «كل السلطة للثوفايتات» من جهة أنه شعار الساعة. فإذا بتلك المجموعة تتقدم بسرعة مفرطة فيهدد ذلك الحزب بالانزال تماما عن الجماهير الواسعة والثوفايتات التي لا تزال تؤمن بوجود روح ثورية في الحكومة المؤقتة.

هل كان على الشيوعيين الصينيين أن يطلقوا شعار «لتسقط قيادة كيومنتانغ ووهان» منذ ستة أشهر مضت؟ لا. لم يكن عليهم ذلك.

لم يكن عليهم ذلك وإلا كان ذلك سبق خطير يعيق صلة الشيوعيين بأوسع جماهير الشغيلة التي كانت لا تزال تثق في كيومنتانغ ووهان؛ وإلا عزل ذلك الحزب الشيوعي عن جماهير الفلاحين العظيمة.

لم يكن عليهم ذلك لأن قيادة كيومنتانغ ووهان ولجنته المركزية لم يكن لها من الوقت الكافي لتستنفذا كل إمكانياتها من جهة أنها حكومة ثورية برجوازية. ولم يكن لها من الوقت الكافي حتى تنكشفا وتفضحا أمام عيون جماهير الشغيلة العظيمة من خلال مقاومة تلك القيادة الثورة الزراعية والطبقة العمالية ومن خلال انضمامها إلى أعداء الثورة.

كنا نقول دائما أنه لا يجب أن نوجه الأمور نحو الانتقاص من أهمية كيومنتانغ ووهان وتغييره طالما لم يستنفذ بعد كل إمكانياته من جهة أنه حكومة ثورية برجوازية وأن نمكّنه من الوقت حتى يستنفذها قبل أن نتناول قضية تعويضه تناولا عملياً.

هل يجب على الشيوعيين الصينيين أن يرفعوا اليوم شعار «لتسقط قيادة كيومينتانغ ووهان»؟ نعم. يجب عليهم ذلك مطلقاً الجواب.

فاليوم، وقد تورّطت قيادة كيومينتانغ ووهان في محاربة الثورة وطالها عداء جماهير العمّال والفلاحين العظيمة، يجد هذا الشعار صدى قوياً بين الجماهير الشعبية. اليوم يفهم كلّ عامل وكل فلاح أن الشيوعيين على صواب عندما يغادرون حكومة ووهان ولجنة كيومينتانغ ووهان المركزية ويرفعون شعار «لتسقط قيادة كيومينتانغ ووهان».

يجد العمّال والفلاحون اليوم أنفسهم أمام خيار: إمّا قيادة الكيومينتانغ الحالية التي ترفض تلبية مطالبهم الحيوية وترفض إنجاز الثورة الزراعية، وإمّا الثورة الزراعية وتحسين وضع الطبقة العاملة تحسيناً جذرياً وتغيير قيادة كيومينتانغ ووهان هو شعار الساعة عندهم.

ذلك ما يستوحه المبدأ التكتيكي الثالث في اللينينية فيما اتصل بتغيير الشعارات وسبل ووسائل الارتقاء بالجماهير العظيمة إلى مواقف ثورية جديدة، ومعرفة كيف يساعد الحزب، من خلال سياسته وأنشطته والتغيير المناسب لبعض الشعارات، جماهير الشغيلة العظيمة على الاعتراف بصحة خطأ الحزب من خلال تجربتها الخاصة.

إلکم كيف يصوغ لينين هذا المبدأ التكتيكي:

﴿لا الانتصار بقوى الطليعة وحدها. وزح الطليعة وحدها في معركة حاسمة، قبل أن تكون الطبقة كلّها والجماهير الواسعة قد اتخذت إمّا موقف التأييد المباشر للطليعة وإمّا، على الأقلّ، موقف حياد يتّسم بالنية الطيبة تجاهها، بحيث تكون غير قادرة أبداً على تأييد عدوّ الطليعة، لا يكون حماقة فحسب، بل جريمة أيضاً. فلكي تتخذ الطبقة كلّها فعلاً، وجماهير الكادحين الواسعة فعلاً، ويتخذ من تضطهدهم الرأسمالية، مثل هذا الموقف، لا تكفي الدعاية وحدها والتحرّيز وحده. فلزم لذلك أن يكون لتلك الجماهير تجربتها السياسيّة الخاصة. ذلك هو القانون

الأساسي في جميع الثورات الكبرى، وقد أثبتته الآن روسيا وفضلا عنها ألمانيا بقوة وجلاء ساطعين. فلم يكن الأمر يتطلب من الجماهير الروسية، غير المثقفة والأمية في أغلبها، وحدها بل كان الأمر يتطلب من الجماهير المثقفة ثقافة عالية والمتعلمة كلها في ألمانيا أيضا. أن تلمس بتجارها المثرة كل عجز حكومة فرسان الأمية الثانية وكل ميوعتها، وكل وهنها وكل خنوعها أمام البرجوازية، وكل دناءتها، وكل حتمية دكتاتورية الرجعيين المتطرفين (كورنيولوف في روسيا وكاب وشركائه في ألمانيا) باعتبارها البديل الوحيد عن دكتاتورية الطبقة العاملة، حتى تتجه تلك الجماهير بصورة قاطعة نحو الشيوعية. إن المهمة المباشرة التي تواجهها الطليعة الواعية من الحركة العاملة العالمية، أي الأحزاب والفرق والتيارات الشيوعية، هي أن تكون قادرة على دفع الجماهير الواسعة (التي لا تزال في أغلب الأحوال ساكنة، بليدة الحس، تقيدتها الرتابة) نحو هذا الوضع الجديد، أو بالأصح، أن تكون قادرة على قيادة حزبها، وليس حزبا فقط، بل وتلك الجماهير أيضا، أثناء اقترابها من ذلك الوضع الجديد وانتقالها إليه. ﴿لبنين، «اليسارية» مرض طفولي في الشيوعية، المجلد 25، ص 228﴾

الخطأ الأساسي عند المعارضة هو أنها لا تفهم مغزى هذا المبدأ التكتيكي في اللينينية وأهميته. فهي لا تقبله مطلقا وتحيد عنه بانتظام.

لقد حادت المعارضة (التروتسكيون) عن هذا المبدأ التكتيكي في مطلع عام 1917، عندما حاولت «القفز» إلى ما بعد الحركة الزراعية التي لم تكتمل بعد (انظر في ما كتب لبنين).

وحادت المعارضة (تروتسكي، زينوفييف) عنه عندما حاولت «القفز» لتجاوز الروح الرجعية في النقابات معلنة أن لا جدوى من عمل الشيوعيين في النقابات الرجعية وإقامة تكتلات مؤقتة معها.

تعتقد المعارضة أنها إذ فهمت واعترفت بالطابع الهجين عند الكيومينتانغ وتردداته وهشاشته، وإذ اعترفت بالطابع الوقي والمشروط للتكتل مع الكيومينتانغ

(وذلك أمر لا يصعب فهمه على أي مناضل كفاء)، فإنّ ذلك يكفي تماما لتتخذ «عملا فاصلا» ضدّ الكيومينتانغ، ضدّ سلطة الكيومينتانغ؛ أنّ ذلك يكفي تماما حتى تساند الجماهير العظيمة من العمّال والفلاحين «عملنا الفاصل» قلبا وقالبا.

تنسى المعارضة هنا أنّ فهم «نا» أبعد من أن يكون كافيا حتى يتمكّن الشيوعيون الصينيون من جرّ الجماهير ورائهم. فالمعارضة تنسى أنّه يلزم لذلك أيضا أن تعترف الجماهير بهشاشة قيادة الكيومينتانغ وروحها الرجعية المعادية للثورة وذلك من خلال تجربتها الخاصّة.

تنسى المعارضة أنّ الثورة لا «تحدث» فقط بالطليعة، الحزب، أو الشخصيات وإن كانت «هامّة» ولكنها تكون بالجماهير الشعبيّة العظيمة قبل كلّ شيء وعلى الأخصّ.

فمن الغريب أن تنسى المعارضة حال الجماهير الشعبيّة العظيمة ووعيتها وإن كانت جاهزة لعمل فاصل.

ألم نكن نعرف نحن، الحزب ولينين أنّ من اللازم علينا أن نطرح بحكومة ميمونوكوف-كيرينسكي المؤقتة في نيسان 1917؛ وأنّ وجود الحكومة المؤقتة لا يتوافق ونشاط السوفييتات؛ ويجب أن تنتقل السلطة إلى السوفييتات؟ نعم. كنا نعرف ذلك.

لماذا إذن ندّد لينين في بيترسبورغ في نيسان 1917 بمجموعة بلاشفة يتزعمها باغادياف بأنّها مجموعة مغامرة عندما أطلقت شعار «لننسط الحكومة المؤقتة، كلّ السلطة للسوفييتات» لنطرح بالحكومة المؤقتة؟

لأنّ الجماهير العظيمة من الكادحين وقسم من العمّال وملايين من الفلاحين وجماهير الجيش والسوفييتات نفسها لم تكن جاهزة بعد لتتقبّل ذلك الشعار من جهة أنّه شعار الساعة.

لأن الحكومة المؤقتة والأحزاب البرجوازية الصغيرة من الاشتراكيين-الثوريين والمناشقة لم يستنفذوا بعدُ كل إمكانياتهم حتى يفضحوا كفاية أمام عيون الجماهير الكادحة التي لا تحصى.

لأن لينين كان يعلم أنه لنطرح بالحكومة المؤقتة ونركز سلطة السوفييتات، لا يكفي لذلك ما لدى طبعة الطبقة العاملة، حزب الطبقة العاملة، من فهم ووعي، بل يلزم لذلك أيضا أن تقتنع الجماهير نفسها بصحة ذلك الخطّ بتجربتها الخاصة.

لأنه كان لا بدّ أن نمرّ بكامل ذلك المشهد من التحالفات والخيانة والغدر من جانب الأحزاب البرجوازية الصغيرة في حزيران وتموز وآب من عام 1917، والتحالف الوفي بين أضراب كورنيلوف وميليكوف، وتمرد كورنيلوف وغير ذلك، حتى فهمت الجماهير الكادحة التي لا تحصى أنّ الإطاحة بالحكومة المؤقتة وتركيز سلطة السوفييتات إنّما هما أمران لا مفرّ منهما.

لأنه في مثل تلك الظروف فقط يكفّ شعار سلطة السوفييتات عن أن يكون أفقا ليصبح شعار الساعة.

إنّ تعاسة المعارضة هي أنّها تقترف دائما نفس الخطأ الذي كان وقع فيه باغداديا في آنذاك؛ وأنّها إذ تنخلّى عن طريق لينين فهي تحبّد أن «تسير» على في طريق باغداديا في.

ألم نكن نعرف نحن الحزب ولينين أنّ الجمعية التأسيسية لا تتوافق ونظام السلطة السوفييتية عندما شاركنا في انتخاب الجمعية التأسيسية وحتى عندما طلبناها في بيتروغراد؟ نعم. كنا نعرف ذلك.

لماذا طلبناها؟ وكيف حدث أنّ شارك البلاشفة في انتخاب الجمعية التأسيسية وطلبوا هذه الأخيرة في الوقت الذي تُشيد فيه السلطة السوفييتية وهم أعداء البرلمانية البرجوازية؟ هل كان ذلك من باب «التدبّل»؟ هل كان ذلك من باب إبطاء الأحداث و«كبح جموح الجماهير» وكبح تكتيك «المدى البعيد»؟ لا. ذلك بديهي.

لقد استخدمها البلاشفة لیساعدوا الجماهير المتأخرة من الشعب على الاقتناع بأم عينها بعجز الجمعية التأسيسية وروحها الرجعية المعادية للتورة. لقد كان ذلك السبيل الوحيد أمام البلاشفة حتى يكسبوا إلى صفهم الجماهير التي لا تخص من الفلاحين ويسهل حل الجمعية التأسيسية.

إلکم ما کتبه لينين في هذا الشأن:

﴿لقد شاركنا نحن في انتخابات البرلمان البرجوازي - الجمعية التأسيسية- في أيلول-تشرين الثاني عام 1917. هل كان تكتيکنا صحيحا أم لا؟ ... ألم يكن من حقنا، نحن البلاشفة الروس، في أيلول-تشرين الثاني عام 1917، أكثر من أي من الشيوعيين الغربيين، أن نعتبر البرلمانية في روسيا قد ولى عهدا سياسيا؟ بالطبع كان ذلك من حقنا، لأن القضية ليست في كون البرلمانات البرجوازية موجودة من أمد بعيد أو قريب، بل في قدر استعداد الجماهير الغفيرة الكادحة (استعدادا فكريا وسياسيا وعمليا) لقبول النظام السوفيتي وحل (أو السباح بحل) البرلمان البرجوازي الديمقراطي. أما أن تكون الطبقة العاملة في المدن والجنود والفلاحين في روسيا في أيلول عام 1917 كانوا بحکم بعض الظروف الخاصة مهمين بصورة ممتازة لقبول النظام السوفيتي وحل أكثر البرلمانات البرجوازية ديمقراطية، فهذا واقع لا جدال فيه مطلقا وحقيقة تاريخية مقررة تماما. ومع ذلك فإن البلاشفة لم يقطعوا الجمعية التأسيسية، بل اشتركوا في الانتخابات، سواء قبل أو بعد ظفر الطبقة العاملة بالسلطة السياسية...﴾

إنّ ما يُستنتج من كلّ ذلك لا جدال فيه إطلاقا: لقد ثبت أنّ الاشتراك في البرلمان البرجوازي الديمقراطي، حتى لبضعة أسابيع قبل انتصار الجمهورية السوفيتية، وحتى بعد هذا الانتصار، لا يضّر الطبقة العاملة الثورية، بل يسهّل لها إمكانيّة أن تثبت للجماهير المتأخرة لماذا تستوجب هذه البرلمانات الحلّ، وهو يسهّل التجاح في حلّها، ويسهّل «الإلغاء السياسي للبرلمانية» البرجوازية. ﴿لينين، «اليسارية» مرض طفولي في الشيوعية، المجلّد 25، ص 201-202﴾

على هذا النحو كان البلاشفة يطبقون المبدأ التكتيكي اللينيني الثالث.

وعلى هذا النحو يجب أن نطبق التكتيك البلشفي في الصين فلا يهم إن تعلق الأمر بالثورة الزراعية أو بالكيومينتانغ أو بشعار سلطة السوفييتات.

تعتقد المعارضة أنّ الثورة الصينية قد انهزمت هزيمة كاملة. من البديهي أن لا شيء من ذلك القبيل. فأن تمنى الثورة الصينية هزيمة مؤقتة فذلك أمر لا شك فيه. لكن يتعلّق الأمر الآن بأن نعرف فيما تقوم هذه الهزيمة وما مدى عمقها.

من الممكن أن تدوم هذه الهزيمة مدة تقارب مدة هزيمة ثورة 1905 في روسيا حيث توقفت الثورة خلال اثنتي عشر عاما طويلا حتى أمكنها أن تنفجر من جديد في شباط 1917 بقوة جديدة وتطيح الحكم المطلق وتشق طريقا لثورة جديدة الثورة السوفييتية.

لا نستبعد مثل هذا الأفق. وليست بالهزيمة الكاملة بعد شأنها شأن ثورة 1905 التي لم تكن هزيمة نهائية. ليست هزيمة نهائية لأنّ الأهداف الرئيسية في الثورة الصينية في الطور الحالي من تطورها - الثورة الزراعية، توحيد الصين ثورياً، التحرر من الاضطهاد الإمبريالي- لا تزال تنتظر الحل. وإذا ما أصبح هذا الأفق واقعا فلن يتعلّق الأمر بقضية تشكيل سوفييتات نواب العمال والفلاحين فورا في الصين. لأنّ السوفييتات لا تتشكل ولا تزدهر إلا في حال نهوض ثوري.

لكن هذا الأفق غير محتمل. وليس هناك الآن، على أي حال، ما يدفعنا إلى ذلك الاعتقاد. أبدا. فأعداء الثورة لم يتحدوا بعد ولن يتحدوا قريبا حتى وإن قدر لهم ذلك في يوم من الأيام.

فالحرب تستجد بين العسكريين قدامى وجدد بقوة جديدة ولن يكون ذلك دون إضعاف قوة أعداء الثورة وأن يزيد من هلاك الفلاحين وغضبهم.

ولا يوجد في الصين بعد مجموعة أو حكومة تقدر على بسط حتى أمر من قبيل إصلاح ستوليبين، إصلاح يمكن أن تتخذه المجموعات القائمة مظلة لها.

وملايين الفلاحين الذين استحوذوا على أراضي المالكين العقاريين ليس من السهل نزعهم عن الأرض وإصاقهم بها.

ونفذ الطبقة العمالية يتعاطف في عيون الجماهير الكادحة يوماً بعد يوم. وقواها أبعد من أن تكون قد تحطمت.

من الممكن أن تماثل هزيمة الثورة الصينية الهزيمة التي تكبدها البلاشفة في تموز 1917 عندما خانتهم سوفيات المناشفة والاشتراكيين-الثوريين واضطروا وقتئذ إلى الانتقال إلى السرية لتخرج الثورة من جديد إلى الشارع بعد بضعة أشهر وتكس الحكومة الروسية الإمبريالية.

من البديهي أنّ المماثلة هنا تقريبية. ولا أقبلها إلا بجميع التحفظات التي يفرضها الاختلاف بين الوضع الصيني اليوم وذاك الذي كان في روسيا عام 1917. ولم أبدأ إلى هذه المماثلة إلا لتناول تقريبي لمدى عمق هزيمة الثورة الصينية.

أعتقد أنّ هذا الأفق هو الأكثر احتمالاً. وإذا ما أصبح هذا الأفق واقعا، وإذا ما أصبح نهوض جديد في الثورة واقعا في وقت قريب (ليس بالضرورة خلال شهرين بل خلال ستة أشهر أو عام) أمكن أن تطرح قضية تشكيل سوفيات نواب العمال والفلاحين من جهة أنها شعار الساعة وبديلا للحكومة البرجوازية.

لماذا؟

لأنه في ظروف نهوض جديد في الثورة وفي الطور الحالي من تطورها، سيكون تشكيل السوفيات قضية ناضجة بما فيه الكفاية حتى يفصل فيها.

فبالأمس، منذ أشهر مضت، لم يكن من الواجب على الشيوعيين في الصين أن يرفعوا شعار السوفيات. لأن ذلك سيكون وقتئذ ضرب من روح المغامرة يخض معارضتنا لأن قيادة الكيومينتانغ لم يكن لها من الوقت الكافي حتى ينكشف عداؤها للثورة.

أما اليوم فيمكن أن يصبح شعار السوفييتات شعارا ثوريا حقا إذا ما جدّ نهوض ثوري جديد وقوي في المستقبل القريب.

لهذا السبب يجب، منذ الآن، وقبل أن يندلع نهوض، ومن خلال التّضال في سبيل استبدال حكومة الكيومينتانغ الحالية بقيادة ثورية، أن تقوم عمل واسع النطاق من التحريض بين صفوف الجماهير الكادحة العظيمة لصالح فكرة السوفييتات، دون تسرع ودون تشكيل السوفييتات اليوم، دون أن يغيب عن البال أن السوفييتات لا تزدهر إلا في حال نهوض ثوري قوي.

يمكن أن تقول المعارضة أنها «أول» من قدّم ذلك. وأنّ ذلك هو ما يستمى عندها تكتيك «المدى البعيد».

خطأ مطلق الخطأ. فليس ذاك تكتيك «المدى البعيد» وإنّما هو تكتيك الضال وتكتيك ضرية هنا وأخرى هناك.

فعندما طالبت المعارضة بانسحاب الشيوعيين الفوري من الكيومينتانغ في نيسان 1926، كان ذلك تكتيك الضربات البعيدة لأنّ المعارضة نفسها كانت قد اعترفت بأنّ على الشيوعيين أن يبقوا في الكيومينتانغ فيما بعد.

وعندما أعلنت المعارضة أنّ الثورة الصّينية ثورة من أجل الاستقلال الجمركي، كان ذلك تكتيك الضربات القصيرة لأنّ المعارضة كانت قد تخلّت عن صيغتها بتكمّ فيما بعد.

وعندما أعلنت المعارضة في نيسان 1927 أنّ بقايا الإقطاع في الصّين كانت أمرا مبالغ فيه متناسية وجود الحركة الرّاعية الجماهيرية، كان ذلك تكتيك الضربات القصيرة لأنّ المعارضة نفسها اضطرتّ إلى الاعتراف بخطئها فيما بعد.

وعندما أطلقت المعارضة في نيسان 1927 شعار التشكيل الفوري للسوفييتات، كان ذلك تكتيك الضربات البعيدة لأنّ أنصار المعارضة أنفسهم اعترفوا بوجود تناقضات في معسكرهم. فالأول (تروتسكي) طالب بأن توجه الأمور نحو الإطاحة

بِحكومة ووهان أما الآخر (زينوفيف) فأراد أن «نساعد» نفس الحكومة «بكلّ الوسائل».

لكن منذ متى كان يستمى عندنا تكتيك ضربة هنا وأخرى هناك المتكرر دوما تكتيك «الضربات البعيدة» ؟

ويجب أن نقول في ما تعلق بالسوفييتات أنّ الأُمّة الشيوعيّة كانت قد سبقت المعارضة وتحدّثت عن السوفييتات في الصّين من حمّة أنّها أفق. ولكنّ السوفييتات من حمّة أنّها شعار الساعة على النحو الّذي صاغته المعارضة في الربيع الماضي من حمّة أنّه بديل للكيومناتانغ الثوري، (فلو لم يكن الكيومينتانغ ثوريا لما احتاج زينوفيف إلى الصّياح لـ«نساعد» الكيومينتانغ «بكلّ الوسائل») فإنّما هو مغامرة وسبق مشحون بحبّ التظاهر. وهو في ذلك لعلّ ما كان عليه باغداديا في نيسان 1917 من مغامرة وسبق.

فإنّ أمكن أن يصبح شعار السوفييتات شعار الساعة في الصّين في مستقبل قريب فلا يمكن أن نستخلص من ذلك أنّ ما كانت المعارضة قد صاغته في ربيع هذا العام لم يكن مغامر خطيرة ومقلّقة.

وإذا كان لينين قد أقرّ ضرورة شعار «كلّ السّلطة للسوفييتات» ووجده مناسبا في أيلول 1917 (قرار اللجنة المركزيّة المشهور في الانتفاضة) فلا يمكن أن نستخلص من ذلك أنّ ما صاغه باغداديا في نيسان 1917 لم يكن مغامرة مقلّقة وخطيرة.

كان بإمكان باغداديا أن يقول في أيلول 1917 أنّه «أول» من أوصى بسّلطة السوفييتات منذ نيسان 1917. هل ينتج عن ذلك أنّ باغداديا على صواب في حين كان لينين على خطي فادح لما وصف مداخلته في نيسان 1917 بروح المغامرة؟

لا تفهم المعارضة أنّ الأمر لا يتعلّق أبدا بمن كان «أول» من تناول الشّأن بسبق وإساءة للثورة وإثّما يتعلّق بأن نتناول ذلك الشّأن في ما يناسبه من وقت وعلى نحو تفهم فيه الجماهير ذلك الشّأن وتنجزه.

تلك هي الوقائع.

والحصيلة عند المعارضة هي التخلي عن التكتيك اللينيني مقابل سياسة قوامها
روح مغامرة «أقصى اليسار» ❖

المصدر المعتمد في الترجمة:

NOTES ON CONTEMPORARY THEMES

J. Stalin: Works, Vol. 9, p. 337-369

Foreign Languages Publishing House

Moscow, 1954

حول الصين

الاجتماع العام المشترك بين اللجنة المركزية والهيئة المركزية للرقابة تحت
عنوان : «الوضع العالمي والدفاع عن اتحاد الجمهوريات السوفيتية
الاشتراكية»، جلسة 7 آب 1927

لننتقل إلى قضية الصين.

سوف لن أتوسّع في ما اتصل بطابع الثورة الصينية وآفاقها من أخطاء المعارضة. ولن أقوم بذلك أبدا. فقد تحدّثنا في ذلك بما فيه الكفاية وعلى نحو مقنع بما فيه الكفاية ولا جدوى من تكرار ذلك هنا. وسوف لن أتوسّع أيضا هنا في القول الذي مفاده أنّ الثورة الصينية في طورها الحالي هي ثورة في سبيل الاستقلال الجمركي (تروتسكي). ومن غير المجدي أيضا أن أتوسّع في الفكرة التي مفادها أنّه لا توجد في الصين، على ما يبدو، بقايا إقطاعية وحتى إن وجدت فليس لها أهمية جدّية تذكر (تروتسكي، راديك) ممّا يجعل الثورة الزراعية في الصين غير مفهومة تماما. إنّ اطلاعكم على صحافة حزينا، قد يكون جعلكم تقفون على هذه الأخطاء وأخرى شبيهة بها ارتكبتها المعارضة في القضية الصينية.

فلنمرّ إلى القضية المتعلقة بالتقاط الأساسية التي تنطلق منها اللينينية لتحلّ قضايا الثورة في البلدان المستعمرة والتابعة.

ما هي نقطة البدء التي تتخذها الأمية الشيوعية والأحزاب الشيوعية عندما تتناول قضايا الحركة الثورية في البلدان المستعمرة والتابعة بصورة عامّة؟

إنّما تميّز الثّورة في البلدان الإمبرياليّة التي تضطهدُ الشّعوب الأخرى عن الثّورة في البلدان المستعمّرة والثّابعة التي تزرع تحت نير إمبريالي من جانب الدّول الأخرى تميّزا قويا. فالثّورة في البلدان الإمبرياليّة شأنٌ؛ فهناك تضطهدُ البرجوازيّة الشّعوب الأخرى وهي هناك رجعيّة في جميع مراحل الثّورة وهناك ينتفي العنصر القومي من جهة أنّه عنصر تحرّر. والثّورة في البلدان المستعمّرة والثّابعة شأنٌ آخر؛ فنيّر إمبرياليّة الدّول الأخرى هنا هو أحد عوامل الثّورة، فهذا النيّر لا يمكن أن يستثنى مداء البرجوازيّة الوطنيّة. فهذه الأخيرة يمكنها أن تساند الحركة الثّورية في بلادها ضدّ الإمبرياليّة في مرحلة معيّنة زمنيّة معيّنة. فالعنصر القومي هو عامل ثورة من جهة أنّه عنصر نضال تحرّر.

ومن لم يفهم هذا الفرق ومائل الثّورة في البلدان الإمبرياليّة بالثّورة في البلدان المستعمّرة والثّابعة إنّما هو خرج من طريق الماركسيّة ومن طريق اللينينيّة وسلك طريق أنصار الأميّة الثّانية.

إليكم ما قاله لينين في هذا الموضوع في تقريره «في القضيتين القوميّة والاستعماريّة» أمام المؤتمر الشيوعي العالمي الثّاني:

﴿ما هي الفكرة الأكثر أهميّة، الفكرة الأساسيّة في أطروحاتنا؟ إنّها تميّز الشّعوب المضطهدة عن الشّعوب المضطهدة. ونحن نؤكّد على هذا التميّز خلافا لما تقوم به الأميّة الثّانية والديمقراطيّة البرجوازيّة (إشارة التأكيد لستالين)﴾

خطأ المعارضة الرئيسي أنّها لا تفهم هذا الفرق بين أنواع الثّورات ولا تعترف به.

خطأ المعارضة الرئيسي أنّها تماثل ثورة 1905 في روسيا البلد الإمبريالي الذي يضطهدُ الشّعوب الأخرى بالثّورة في الصّين البلد المضطهد وشبه المستعمّر المضطرّ للنضال ضدّ النير الإمبريالي الذي تسلّطه عليه الدّول الأخرى.

فعدنا في روسيا في عام 1905 سارت الثّورة ضدّ البرجوازيّة الليبراليّة رغم أنّ الثّورة كانت ديمقراطيّة برجوازيّة. لماذا؟ لأنّ البرجوازيّة الليبراليّة في بلد إمبريالي لا

يمكنها أن لا تكون معادية للثورة. ولهذا السبب على وجه التحديد لم يتعلّق الأمر عند البلاشفة بقضية تكتلات أو اتفاقات مؤقتة مع البرجوازية الليبرالية. وتنطلق المعارضة من ذلك لتزعم أنّ علينا القيام بنفس الأمر في الصين في جميع مراحل الحركة الثورية، فلا تقبل اتفاقات أو تكتلات مؤقتة مع البرجوازية الوطنية في الصين مما كانت الظروف. لكنّ المعارضة تنسى أنّه لا يتحدث على هذا النحو إلا من كان لا يعرف الفرق بين الثورة في البلدان المضطّدة والثورة في البلدان المضطّدة ولا يريد الاعتراف بذلك الفرق؛ وأنّه لا يتحدث على هذا النحو إلا من قاطع اللينينية وانزلق نحو أنصار الأمية الثانية.

إيكم ما قاله لينين في ما اتّصل بقبول الاتّفاقات والتكتلات المؤقتة مع حركات التحرّر البرجوازية في البلدان المستعمرة:

﴿يجب على الأمية الشيوعية أن تسير في تحالف مؤقت مع الديمقراطية البرجوازية في البلدان المستعمرة والمتأخّرة لكن دون أن تندمج فيها وأن تحافظ مطلقاً على استقلال الحركة العمالية حتى لو كانت في شكلها الأكثر جنبينية.﴾

﴿فبصفتنا شيوعيين يجب علينا أن نساند (ونحن نقوم بذلك) حركات التحرّر البرجوازية في البلدان المستعمرة إذا ما كانت تلك الحركات ثورية حقاً ولا يمنعنا ممثلوها من تربية وتنظيم الفلاحين وجاهير المستغلين الهائلة بروح ثورية.﴾

كيف «حدث» أن اعترف لينين بقبول تلك الاتّفاقات والتكتلات مع البرجوازية في الصين وهو الذي كان يجارب تلك الاتّفاقات في روسيا؟ أكان لينين مخطئاً؟ أكان انتقل من التكنيك الثوري إلى التكنيك الانتهازي. لا، فذلك بديهي. لقد «حدث» ذلك لأنّ لينين كان يفهم الفرق بين الثورة في بلد مضطّهد والثورة في بلد مضطّهد. لقد «حدث» ذلك لأنّ لينين كان يفهم أنّ البرجوازية الوطنية في البلدان المستعمرة يمكنها أن تساند الحركة الثورية في بلادها ضدّ إمبريالية الخارج في مرحلة معيّنة من تطوّر تلك الحركة الثورية. وذلك ما لا تريد المعارضة أن تفهمه. لكنّها لا

تريد أن تفهمه لأنها تقاطع تكتيك لينين الثوري، لأنها تقاطع التكتيك الثوري اللينيني.

هل لاحظتم كيف تفادى زعماء المعارضة بعناية في خطاباتهم أن يتحدثوا في تعاليم لينين التي ذكرنا خوفاً من تناولها رغم أن الرفيق بوخارين قد واجههم بقضية تعاليم لينين تلك في تقريره؟ لماذا إذن تفادوا هذه التعاليم التكتيكية التي يعرفها الجميع وقدّمها لينين للبلدان المستعمرة والتابعة؟ لماذا يخافون تلك التعاليم؟ لأنهم يخافون الحقيقة. لأنّ تعاليم لينين التكتيكية تطيح بكامل التوجّه المذهبي والسياسي عند التروتسكية فيما اتصل بقضايا الثورة الصينية.

فيما اتصل بمراحل الثورة الصينية. لقد ارتبكت المعارضة حتّى أنّها تنكر الآن وجود أيّ كان من المراحل في تطوّر الثورة الصينية. لكن هل من الممكن أن تقوم ثورات دون أن تمرّ ببعض المراحل خلال تطوورها؟ ألم يكن في تطوّر ثورتنا مراحل؟ خذوا «أطروحات نيسان» التي صاغها لينين وستجدون أنّه يقترّ بمرحلتين في ثورتنا: المرحلة الأولى هي الثورة الديمقراطية البرجوازية ومحورها الرئيسي الحركة الزراعية؛ والمرحلة الثانية هي ثورة أكتوبر ومحورها الرئيسي هو استلام الطبقة العمالية السلطة. ما هي مراحل الثورة الصينية؟ أعتقد أن يجب أن تكون ثلاث: المرحلة الأولى هي ثورة الجبهة الوطنية العامة المتحدة، إمّا فترة كانتون لمّا كانت الثورة توجّه ضرباتها الرئيسيّة ضدّ الإمبريالية الأجنبية، ولمّا كانت البرجوازية الوطنية لا تزال تساند الحركة الثورية. والثورة الصينية حالياً في ثاني مراحل تطوورها، وكان ذلك مع ظهور الجيوش الوطنية على نهر يانغ-تسي وهو الوقت الذي انسحبت فيه البرجوازية الوطنية من الثورة وتطوّرت فيه الحركة الزراعية إلى ثورة عارمة يخوضها عشرات الملايين من الفلاحين؛ والمرحلة الثالثة هي الثورة الشوفينيّة، إمّا لم تقم بعدُ لكنّا قادمة. ومن لم يفهم أن لا وجود لثورات دون بعض المراحل في تطوورها ومن لم يفهم أنّ الثورة الصينية تنطوي على ثلاث مراحل إمّا هو لم يفهم شيئاً من الماركسيّة والقضيّة الصينية.

ما هو الطابع الذي ميّز أولى مراحل الثورة الصينية؟

إن الطابع الذي يميز أولى مراحل الثورة الصينية هو أنها كانت، في المقام الأول، ثورة الجبهة الوطنية العامة المتحدة؛ وكانت، في المقام الثاني، موجّهة أساساً ضدّ الإضطهاد الإمبريالي الخارجي (إضراب هون-كونغ،...). هل كانت كانتون وقتئذٍ مركز وساحة سلاح الحركة الثورية في الصين؟ نعم. لا جدال في ذلك. فلا ينكر ذلك الآن إلا أعمى.

هل صحيح أنّ أولى مراحل الثورة المعادية للإمبريالية يجب أن يكون لها هذا الطابع على جهة التحديد؟ أرى أنّ ذلك صحيح. لقد تناول مؤتمر الأمانة الشيوعية الثاني الثورة في الهند والصين في «الأطروحات الإضافية» حيث يقول في ما اتصل بهذه البلدان:

﴿تعرقل السيطرة الأجنبية، على التوام، تطوّر الحياة الاجتماعية، لذا يجب أن تكون أولى خطوات الثورة في المستعمرات الإطاحة بالرأسمالية الأجنبية.﴾

إنّ الطابع الذي يميز الثورة الصينية هو أنها اجتازت هذه «الخطوة الأولى» أي المرحلة الأولى من تطورها، أنها اجتازت فترة ثورة الجبهة الوطنية العامة المتحدة وتدخل ثاني مراحل تطورها أي فترة الثورة الزراعية.

إنّ الطابع الذي يميز الثورة التركية (الكماليون) على سبيل المثال هو عكس ذلك، فقد تعثرت في أولى مراحل تطورها، أي في مرحلة حركة التحرر البرجوازي دون حتّى أن تحاول المرور إلى ثاني مراحل تطورها أي مرحلة الثورة الزراعية.

ماذا كان يمثل الكيومينتانغ وحكومته في أولى مراحل الثورة، في فترة كانتون؟ كان يمثل وقتئذٍ تكتل العمال والفلاحين والمتقنين البرجوازيين والبرجوازية الوطنية. هل كانت كانتون وقتئذٍ مركز الحركة الثورية وساحة سلاح الثورة؟ وهل كانت سياسة مساندة كيومينتانغ كانتون من جهة أنّه حكومة نضال تحزري ضدّ الإمبريالية سياسة صحيحة؟ وهل كما على صواب عندما قدّمنا المساعدة لكانتون في الصين ولأفقره في تركيا حين كانت كل من كانتون وأفقره تخوضان التضال ضدّ الإمبريالية؟ نعم. لقد كما على صواب. كما على صواب وكما نسير وقتئذٍ على خطى لينين.

لكن كيف فهم الجبهة المتحدة مع البرجوازية الوطنية في أولى مراحل الثورة المعادية للإمبريالية؟ هل يعني ذلك أنّ على الشيوعيين أن لا يشددوا نضال العمال والفلاحين ضدّ المالكين العقاريين والبرجوازية الوطنية؟ وهل يعني ذلك أنّ على الطبقة العمالية أن تضحي باستقلاليتها وإن كان ذلك في أضعف حدّ وإن كان ذلك للحظة واحدة؟ لا. فلا يمكن للجبهة المتحدة أن يكون لها معنى ثورياً إلا إذا لم يُمنع الحزب الشيوعي من أداء نشاطه السياسي والتنظيمي في كامل الحرية؛ وأن ينظّم الطبقة العمالية لتكون قوة سياسية مستقلة؛ وأن يوجّه الفلاحين ضدّ المالكين العقاريين؛ وأن ينظّم ثورة العمال والفلاحين علناً فينظّم على ذلك النحو ظروف هيمنة الطبقة العمالية. وأعتقد أنّ الرفيق بوخارين كان قد بين على نحو جيّد بالاعتماد على وثائق يعرفها الجميع كيف أنّ الأمية الشيوعية كانت قد أبلغت الحزب الشيوعي الصيني هذا التصرّو للجبهة المتحدة على وجه التحديد.

لقد اعتمد هنا الرفيقان كامينيف وزينوفيف على مرجع واحد ووحيد ألا وهو تلغراف أرسل إلى شنغهاي في تشرين الأول 1926 مفاده أن لا يجب تشديد الحركة الزراعيّة الآن قبل كسب شنغهاي. أنا لا أقرّ بصواب هذا التلغراف. ولم أعتبر، ولا أعتبر، لجنتنا المركزيّة معصومة من الأخطاء. فمن الممكن أن تقع الأخطاء. وهذا التلغراف خطأً. ولكن، أولاً. ألغينا هذا التلغراف بأنفسنا في بحر بضعة أسابيع (في تشرين الثاني 1926)، دون أي إشارة من أي نوع من جهة المعارضة؛ وثانياً. لماذا صممت المعارضة عن هذا الموضوع إلى حدّ الآن؟ لماذا لم تتذكّر هذا التلغراف إلّا بعد تسعة أشهر؛ ولماذا أخفت عن الحزب أنّنا ألغينا ذلك التلغراف منذ تسعة أشهر؟ ذلك إمّا هو افتراء القصد منه أن يذهب في اعتقاد المرء أنّ ذلك التلغراف يحدّد خطّ قيادتنا. والحقّ أنّه كان تلغرافاً منعزلاً ومنفرداً ولا يعبر عن خطّ الأمية الشيوعيّة وخطّ قيادتنا. لذلك فقد ألغته جملة من الوثائق التي تحدّد خطّ قيادتنا المميّز في بحر بضعة أسابيع.

واسمحوا لي أن أعتمد تلك الوثائق.

إليكم على سبيل المثال مقتطفا من القرار الذي صادق عليه الاجتماع السابع في تشرين الثاني 1926، أي بعد شهرين من تاريخ التلغراف المذكور آنفا:

﴿إنّ الميزة الأصيلة في الوضع الحالي هو طابعه الانتقالي الذي يجعل الطبقة العمّالية ملزمة بأن تختار إمّا أفق تكثّل مع فئات هامة من البرجوازية، وإمّا أفق تقوية تحالفها مع الفلاحين لاحقا. فإذا لم تصغ الطبقة العمّالية برنامجا زراعيا جذريا فلن تستطيع جرّ الفلاحين إلى التضال الثوري، وستفقد هيمنتها على حركة التحرّر الوطني.﴾

ثمّ قرأ:

﴿لن يكون في مستطاع الحكومة الوطنية في كاتون أن تحافظ على السّلطة في الثّورة إن لم تحقّق انتصارا تامّا على الإمبريالية والرّجعية المحليّة وذلك طالما أنّ قضيّة التحرّر الوطني لم تدمج بالثّورة الزراعيّة﴾

تلك وثيقة تحدّد خط قيادة الأُمّية الشيوعيّة بحق.

وإته لمن الغريب جدّا أن يصمت زعماء المعارضة عن وثيقة الأُمّية الشيوعيّة هذه التي يعرفها الجميع.

ربّما سأكون فضا إذا ما اعتمدت على خطابي الذي ألقينته أمام الجمعية الصّينيّة في الأُمّية الشيوعيّة في تشرين الثاني من نفس العام 1926، وهي الجمعية التي صاغت، بمشاركة طبعاً، «القرار في الثّورة الصّينيّة» الذي صادق عليه الاجتماع السابع الموسّع، وكان قد نشر خطابي فيما بعد في كراس عنوانه «آفاق الثّورة في الصّين».

إليكم بعضاً من ذلك الخطاب:

﴿أعلم أنّ هناك من بين أعضاء الكيومينتانغ وحتى من بين الشيوعيين الصّينيين من يعتقد أنّ من غير الممكن تأجيج الثّورة في الريف، خوفاً من يكون في جرّ الفلاحين إلى الثّورة قضاء على الجبهة المتحدّة المعادية للإمبرياليّة. أيّها الرفاق،

ذلك خطأ جَد عميق. فالجبهة المعادية للإمبريالية في الصين ستكون أكثر قوة وأكثر صلابة إذا ما دخل الفلاحون الصينيون الثورة في أسرع وقت وإلى أقصى حد.

ثم نقراً:

﴿أعلم أن هناك من بين الشيوعيين الصينيين رفاقاً يعتبرون إضرابات العمال لتحسين وضعهم المادي والتشريعي أمراً غير مرغوب فيه ويصرفونهم عن الإضرابات. أيها الرفاق، ذلك خطأ كبير. وإنّ في ذلك استنفاص كبير من دور الطبقة العمالية في الصين ومن أهميتها. ويجب أن يسجل ذلك في الأطروحات على أنّه أمر مطلق السلبية. فسيكون خطأ كبيراً إذا لم يستغل الشيوعيون الصينيون الوضع الملائم الحالي ليساعدوا العمال على تحسين وضعهم المادي والتشريعي ولو كان ذلك بطريق الإضرابات. وإلا فما فائدة الثورة في الصين.﴾

وإليكم وثيقة ثلاثة صيغت في كانون الأوّل 1926، في وقت أمطرت فيه الأممية الشيوعية بوابل من الاتهامات مفادها أنّ توسع نضال العمال أدّى إلى أزمة والبطالة وغلق المناجم والمعامل:

﴿إنّ السياسة العامة التي تقوم على التراجع في المدن والتضييق على نضال العمال لتحسين وضعهم هي سياسة خاطئة. يجب تطوير النضال في الريف. لكن من الضروري، في ذات الوقت، استغلال الوقت الملائم لتحسين وضع العمال المادي والتشريعي، جاهدين لإعطاء نضال العمال طابعاً منظماً بكل الوسائل، نابذين الإفراط والسبق المبالغ فيه. يجب على الأخصّ الاهتمام بأن يكون النضال في المدن موجّهاً ضدّ فئات البرجوازية الكبيرة، وقبل كل شيء ضدّ الإمبرياليين، حتّى تحافظ البرجوازيتين الصغيرة والمتوسطة، طالما أمكن ذلك، على تواجدها في إطار الجبهة المتحدة ضدّ العدو المشترك. ونعتقد أنّ نظام غرف التقاهم والمحاكم التوفيقية وغيرها أمراً قوياً شرط أن تقوم سياسة عمالية صحيحة في تلك المؤسسات. ونتمسك في ذات الوقت بضرورة أن نحدّثكم بأنّ المراسم ضدّ حرية الإضراب والاجتماعات

العمالية وغيرها غير مقبولة مطلقا. ونظرا لأهمية هذه القضية، أرسلوا إلينا الأخبار بانتظام. ﴿﴾

أما الوثيقة الرابعة فقد صيغت قبل انقلاب تشان كاي-تشاك بشهر ونصف الشهر:

﴿﴾ من الضروري تقوية عمل خلايا الكيومينتانغ والخلايا الشيوعية في الجيش: إنشاؤها أينما انعدم وجودها، وأيضا يمكن إنشاؤها. وإذا ما استحال إنشاؤها وجب تقوية العمل بشيوعيين متخفيين.

من الضروري التوجه نحو تسليح العمال والفلاحين، وتحويل لجان الفلاحين المحلية أحمزة فعلية للسلطة لها دفاعها الذاتي المسلح...

يجب على الحزب الشيوعي أن يتقوى دائما وأيضا كان على حاله تلك. فأن ينصرف إلى سياسة شبه علنية بمحض إرادته فذلك أمر غير مقبول. فلا يمكن أن يتقوى الحزب الشيوعي بكبح الحركة الجماهيرية، ولا يجب أن يقتاد الحزب الشيوعي بما لدى رجال يمين الكيومينتانغ من سياسة الخيانة والرجعية. فلكي يفضح أولئك لزمتم تعبئة الجماهير حول الكيومينتانغ والحزب الشيوعي الصيني.

من الضروري أن نلفت انتباه كل المناضلين الأوفياء للثورة إلى أنّ الثورة الصينية تجتاز، في الساعة الزاهنة، فترة دقيقة بالنظر إلى تجمع القوى الطبقي وتمركز الجيوش الإمبريالية، ولا يمكن أن تكون للثورة انتصارات مقبلة إلا شرط التوجه بإصرار نحو تطوير الحركة الجماهيرية. فإن لم ذلك كذلك ستكون الثورة مهددة بخطر كبير. لذا، فتطبيق التوجيهات إنّما هو ضروري الآن أكثر من أي وقت مضى. ﴿﴾

وقبل ذلك في نيسان 1926 أي قبل عام من انقلاب رجال يمين الكيومينتانغ وتشان كاي-تشاك كانت الأهمية الشيوعية قد حذرت الحزب الشيوعي الصيني بأن أشارت إليه بأن «من الواجب توجيه الأمور نحو انسحاب رجال يمين الكيومينتانغ أو طردهم».

على ذلك التحو كانت الأُمِّيَّة الشَّيْوعِيَّة تتصوّر تكتيك الجبهة المتّحدة ضدّ الإمبرياليَّة في أولى مراحل الثَّوْرَة المعاديَّة للإمبرياليَّة ولا تزال على ذلك التصوّر.

هل كانت المعارضة على علم بتلك الوثائق التوجيحية؟ من المؤكّد أنّها كانت على علم. فلماذا إذن صمّمت عن هذه الوثائق التوجيحية؟ لأنّها تبحث عن الخصومة لا عن الحقيقة.

ورغم ذلك فقد مضى وقت كان فيه زعماء المعارضة الحاليين ومن بينهم زينوفيف وكامينيف يفهمون بعض الثَّيِّء من اللينينيَّة وكانوا يدافعون من جهة الأساس عن نفس السياسة في الحركة الثَّوْرِيَّة الصِّينيَّة التي تنتهجها الأُمِّيَّة الشَّيْوعِيَّة، وهي سياسة رسمها لنا الرفيق لينين في أطروحاته. وأريد أن أتحدّث عن اجتماع تنفيذية الأُمِّيَّة الشَّيْوعِيَّة السَّادس الذي انعقد في شباط-آذار 1926، ففي ذلك الوقت كان زينوفيف رئيس الأُمِّيَّة الشَّيْوعِيَّة، وكان لا يزال حينها لينينيًّا ولم يتسّى له الوقت بعد لينتقل إلى معسكر تروتسكي. وأنا أتحدّث عن الاجتماع التام السَّادس في تنفيذية الأُمِّيَّة الشَّيْوعِيَّة لأنّه يوجد قرار في الثَّوْرَة الصِّينيَّة اتخذ ذلك الاجتماع السَّادس الموسّع وأقرّ بالإجماع في شباط-آذار 1926 وتضمّن تقييماً لأولى مراحل الثَّوْرَة الصِّينيَّة وكيومينتانغ كانتون وحكومة كانتون. وهو تقييم مائل تقريباً لذلك الذي قدّمته الأُمِّيَّة الشَّيْوعِيَّة والحزب الشَّيْوعي في إتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية، وتكره المعارضة الآن. أتحدّث عن هذا القرار لأنّ الرفيق زينوفيف كان قد صوّت له ولأنّ ما من أحد في اللجنة المركزيّة كان قد قدّم اعتراضاً عليه بما في ذلك الرفيقين تروتسكي وزينوفيف وزعماء المعارضة الآخرين.

اسمحوا لي أن أقدم بعض المقتطفات من ذلك القرار. وإليكم ما اتصل فيه بالكيومينتانغ:

﴿لقد خلقت الإضرابات السياسيَّة التي شنها العمّال الصِّينيون في شنغهاي وهون كغ (من حزيران إلى أيلول 1925) انعطافاً في نضال التحرّر الذي يخوضه الشعب الصِّيني ضدّ الإمبرياليين الأجانب... لقد أعطى نشاط الطبقة العمّالية

السياسي دفعا قويا للتطور اللاحق وتقوية جميع المنظمات الديمقراطية الثورية في البلاد وفي مقدمتها الحزب الشعبي الثوري (الكيومينتانغ) والحكومة الثورية في كانتون. إن حزب الكيومينتانغ الذي تمارس نواته الأساسية عملها بالتحالف مع الشيوعيين الصينيين، يمثل التكتل الثوري من العمال والفلاحين والمتقنين والديمقراطية الحضرية، على أساس المصالح الطبقية المشتركة بين تلك الفئات من الشعب ضد الإمبرياليين الأجانب والنظام العسكري الإقطاعي بأسره، في سبيل استقلال البلاد وفي سبيل سلطة ديمقراطية ثورية موحدة.﴿

وهكذا كان الكيومينتانغ في كانتون على هيئة تحالف أربع طبقات. وكما ترون فذلك قريب من «المارتوفية» التي اهتم بها الرفيق زينوفيف وقتئذ لما كان رئيس الأمانة الشيوعية.

فيما اتصل بحكومة الكيومينتانغ في كانتون:

﴿لقد نجحت الحكومة الثورية التي أنشأها حزب الكيومينتانغ في كانتون في أن تقيم صلات بأوسع جاهير العمال والفلاحين والديمقراطية الحضرية، واعتمدت عليها لتحطيم العصابات المعادية للثورة التي يدعمها الإمبرياليون (وهي تحقق عملا قوامه إنشاء ديمقراطية جذرية في كامل الحياة السياسية في مقاطعة كوانغ-تونغ. فالحكومة في كانتون يشدد عودها من جهة أتمها طليعة نضال الشعب الصيني في سبيل استقلاله. وهي تصلح أن تكون نموذجا للبناء الديمقراطي الثوري اللاحق في البلاد.﴾

فحكومة الكيومينتانغ في كانتون التي تمثل أربع طبقات كانت حكومة ثورية، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كانت نموذجا للحكومة الديمقراطية الثورية في الصين في المستقبل.

فيما اتصل بالجبهة المتحدة من العمال والفلاحين والبرجوازية:

﴿يجب على الحزب الشيوعي والكيومينتانغ، لمواجهة المخاطر الجديدة، أن يقوموا بأوسع نشاط سياسي لتنظيم أنشطة الجماهير لمساندة كفاح الجيوش الشعبية

مستغلين التناقضات في معسكر الإمبرياليين ومواجهين إياهم بالجبهة الموحدة الثورية الوطنية من أوسع فئات السكان (من العمال والفلاحين والبرجوازية) تحت قيادة المنظمات الديمقراطية الثورية»

وهكذا، في البلدان المستعمرة، فإن التكتلات والاتفاقات المؤقتة مع البرجوازية في مرحلة معينة من مراحل الثورة المعادية للإمبريالية إنما هي لا فقط مقبولة بل ضرورية مطلق الضرورة.

ألا يماثل هذا كثيرا ما كان في توجيهات لينين التي نعرفها في ما تعلق بتكنيك الشيوعيين في البلدان المستعمرة والتابعة. لكن ما يدعو للأسف أن الرفيق زينوفيف كان قد نسي ذلك.

فيما تعلق بقضية الخروج من الكيومينتانغ:

«إن بعض فئات البرجوازية الكبيرة الصينية، التي التحقت طيلة مدة بالكيومينتانغ، قد غادرت العام الماضي؛ لقد نتج ذلك إثر تكوّن فرقة صغيرة على يمين الكيومينتانغ تعارض، على نحو مكشوف، التحالف المتين مع الجماهير العمالية وترمي إلى طرد الشيوعيين من الكيومينتانغ، وتعارض السياسة الثورية عند حكومة كاتون. ولقد كان المؤتمر الثاني للكيومينتانغ في كانون الثاني 1926 قد أدان سلوك ذلك الجناح اليميني وأشار إلى ضرورة تحالف نضالي بين الكيومينتانغ والشيوعيين لتقوية اتجاه نشاط الكيومينتانغ وحكومة كاتون ولضمان أن تقدم الطبقة العمالية سندا ثوريا للكيومينتانغ»

إذن، فخروج الشيوعيين من الكيومينتانغ في أولى مراحل الثورة الصينية سيكون خطأ كبيرا. لكن ما يدعو للأسف أن الرفيق زينوفيف كان قد نسي هذا القرار الذي صوّت له منذ شهر. لأن زينوفيف كان قد طالب، في ما بعد، بخروج الشيوعيين الفوري من الكيومينتانغ في نيسان عام 1926 (أي في غضون شهر).

فيما تتعلّق بالانحرافات في الحزب الشيوعي الصيني ورفض حرق مرحلة الكيومينتانغ من الثورة:

﴿يجب أن يتطور استقلال الشيوعيين الصينيين السياسي في التضال ضدّ انحرافين خطيرين: ضدّ التصوّفة اليمينية التي أخفقت في تقدير المهمات الطبقيّة المستقلّة للطبقة العالّية وترمي إلى اندماج عديم الشّكل في مجمل الحركة الوطنيّة؛ وضدّ التّزعة اليساريّة القسوى التي تظهر من خلال القفز فوق المرحلة الديمقراطيّة الثّوريّة والانتقال مباشرة إلى مهمّات الدّكتاتوريّة العالّية والسّلطة السّوفييتيّة، دون أن تأخذ في الحسبان الفلاحين الذين هم العامل الأساسي والحاسم في حركة التّحرّر الوطنيّ الصينيّة.﴾

ذلك كلّ الأمر عسى أن تقتنع المعارضة الآن بأنّها كانت ترمي إلى حرق مرحلة الكيومينتانغ من مسار التّطور في الصين، وإلى الانتقال من أهميّة الحركة الفلاحية، وإلى القيام بقفزة استباقية نحو السّوفييتات. ذلك ما يعنيه هذا الحديث!

هل يعرف الرّفاق زينوفيف وكامينيف وتروتسكي هذا القرار؟

نعتقد أنّهم يعرفونه. وفي جميع الأحوال، لا يمكن للرّفيق زينوفيف أن يكون على غير علم به، فقد قدّم هذا القرار إلى الاجتماع السادس لتنفيذيّة الأُمّية السّيوعيّة تحت رئاسته، وصوّت هو نفسه لصالح ذلك القرار. إذن، لماذا يتحاشى زعماء المعارضة، الآن، هذا القرار الذي هو قرار أعلى هيئة في الحركة العالّية العالميّة؟ إذن، لماذا يطبقون الصّمت على هذا القرار؟ لأنّ هذا القرار يعارضهم في جميع قضايا الثّورة الصينيّة، ولأنّه يطيح بكامل توجّه المعارضة التّروتسكي الحالي، ولأنّهم ابتعدوا عن الأُمّية السّيوعيّة، ولأنّهم ابتعدوا عن اللينينية. وهم الآن، وخشية من ماضيهم، وخشية من ظلّهم، اضطروا إلى أن يتحاشوا قرار الاجتماع السادس الموسّع لتنفيذيّة الأُمّية السّيوعيّة.

ذلك كلّ ما في أولى مراحل الثّورة الصينيّة.

لنتنقل الآن إلى ثاني مراحل الثّورة الصينيّة.

فإذا كانت أولى مراحل الثّورة الصينيّة تتميّز بكون رأس حربة الثّورة موجهة أساسا ضدّ الإمبرياليّة الأجنبيّة فإنّ السّمة التي تتميّز المرحلة الثانية هي أنّ الثّورة

توجّه رأس حربتها أساساً ضدّ الأعداء في الدّاخل، وقبل كلّ شيء، ضدّ الإقطاعيّين والتّظام الإقطاعي. هل أنجزت المرحلة الأولى مهمّتها الممثّلة في الإطاحة بالإمبرياليّة الأجنبيّة؟ كلّاً، لم تنجزها. لقد تركت إنجاز تلك المهمّة إرثاً لثاني مراحل الثّورة. فلم تقم إلّا بتقديم الدّفع الأولي للجواهر الثّوريّة ضدّ الإمبرياليّة، لنتهي مسارها، فيما بعد، وتضع ذلك العمل للمستقبل. ونعتقد أنّ ثاني مراحل الثّورة سوف لن تنجح أيضاً في تحقيق كامل مهمّتها الممثّلة في طرد الإمبرياليّين. وإنّما ستعطي دفعا جديدا للجواهر العظيمة من العمال والفلاحين الصّينيين ضدّ الإمبرياليّة، لكنّها تفعل ذلك لتوكل، فيما بعد، إتمام تلك المهمّة إلى المرحلة المقبلة من الثّورة الصّينيّة: المرحلة السّوفييتيّة. وليس في ذلك ما يبعث على الدهشة. ألا نعلم أنّ وقائع ماثلة كانت قد حصلت في تاريخ ثورتنا رغم أنّ ذلك كان في وضع وملابسات مغايرة؟ ألا نعلم أنّ أولى مراحل ثورتنا لم تنجز مهمّتها إنجازاً تامّاً الممثّلة في إتمام الثّورة الزراعيّة، وأنها أوكلت إنجازها إلى المرحلة اللاحقة من الثّورة: ثورة أكتوبر التي أنجزت على نحو تامّ المهمّة الممثّلة في اقتلاع البقايا الإقطاعيّة من جذورها؟ كذلك لا يمكن أن يكون هنالك ما سيبعث على الدهشة إذا ما لم نستطع، في ثاني مراحل الثّورة، أن ننجز الثّورة الزراعيّة إنجازاً تامّاً وأن توكل ثاني مراحل الثّورة، بعد أن هيأت جواهر الفلاحين الغفيرة وبعد أن وجهتهم ضدّ البقايا الإقطاعيّة، إنجاز تلك المهمّة إلى المرحلة اللاحقة من الثّورة: المرحلة السّوفييتيّة. ولن يكون ذلك إلّا جيّداً للثّورة السّوفييتيّة المقبلة في الصّين.

في ما كانت تقوم مهمّة الشيوعيّين في ثاني مراحل الثّورة في الصّين وقد انتقل مركز الحركة الثّوريّة من كاتون إلى وُو هان وقد برز مركز مضادّ للثّورة في نانكين مواز للمركز الثّوري في وُو هان؟ كانت تقوم هذه المهمّة في استخدام أقصى، على نحو مكشوف، لتنظيم الحزب والطبقة العماليّة (النقابات) والفلاحين (الاتحادات الفلاحية) والثّورة بصورة عامّة. كانت تقوم هذه المهمّة في دفع عناصر كومينتانغ وُو هان نحو اليسار؛ نحو الثّورة الزراعيّة. كانت تقوم هذه المهمّة في جعل كومينتانغ وُو

هان مركزا للتضال ضدّ الثّورة المضادّة ونواة لدكتاتورية العال والفلاحين الديمقراطيّة الثّوريّة المقبلة.

هل كانت هذه السياسة صحيحة؟ لقد بيّنت الأحداث أنّها السياسة الصحيحة الوحيدة القادرة على تهيئة الجماهير العظيمة من عمالا وفلاحين بروح تطوّر الثّورة اللاحق.

لقد كانت المعارضة تطالب بتأليف سوفيات تواب العال والفلاحين فوراً. لكنّ ذلك كان من باب المغامرة وسبق مغامر لأنّ تأليف السوفيات فوراً كان يعني، وقتئذ، حرق مرحلة الكيومينتانغ اليساري من التطوّر.

لماذا؟ لأنّ الكيومينتانغ في وُو هان، الذي يحافظ على تحالفه مع الشيوعيين، لم ينكشف ولم ينكشف أمره بعد في عيون الجماهير العظيمة من العال والفلاحين؛ لم يستنفذ بعد كلّ إمكانياته من جهة أنّه منظمّة ثورية برجوازية.

لأنّ صياغة شعار السوفيات والإطاحة بحكومة وُو هان في وقت لم تقتنع فيه الجماهير بعد بعجز تلك الحكومة وبضرورة إطاحتها، إنّما ذلك استباق كبير وانفصال عن الجماهير وخسران سندها وإجهاض، على ذلك التحو، للعمل الذي كان قد بدأ.

تعتقد المعارضة أنّه لمّا تفهم هي ما في كيومينتانغ وُو هان من عدم ثبات وهشاشة ونقص في الروح الثّورية (وذلك أمر لا يصعب فهمه على كلّ مناضل سياسي كفاء)، فإنّ كلّ ذلك كاف تمام الكفاية حتّى تكون تلك الأمور مفهومة أيضاً عند الجماهير؛ أنّ ذلك كاف تمام الكفاية حتّى نستبدل الكيومينتانغ بالسوفيات ونجّر الجماهير وراءنا. لكنّ ذلك هو خطأ اليساري الأقصى المعتاد عند المعارضة الذي يقدّم وعيه وفهمه الخاصين على أنّها الوعي والفهم الخاصين بملايين العال والفلاحين.

إنّ المعارضة على صواب عندما تقول أنّ على الحزب أن يسير إلى الأمام. فذلك مبدأ ماركسي عادي لا يمكن أن يقوم حزب شيوعي حقيقي من دونه. لكن ليس ذلك إلّا جزءاً من الحقيقة. أمّا الحقيقة كاملة فهي أنّ على الحزب لا أن يخطو إلى الأمام فحسب، بل عليه أيضاً أن يجزّ وراءه الجماهير الغفيرة. فأن نسير إلى

الأمام دون أن نجر وراءنا الجماهير الغفيرة إثمًا يعني ذلك، في الواقع، أن تتأخر عن الحركة وأن نبتغي في ذيلها. أن نسير إلى الأمام منفصلين عن المؤخرة ودون أن نعرف كيف نجرها وراءنا إثمًا ذلك استباق كبير سيعرقل، لزمان معين، سير الحركة الجماهيرية إلى الأمام. والقيادة اللينينية تقوم في ما يلي: يجب على الطليعة أن تعرف كيف تجر وراءها المؤخرة، يجب على الطليعة أن تسير إلى الأمام دون أن تنفصل عن الجماهير. ولكي لا تنفصل الطليعة عن الجماهير ولكي تستطيع الطليعة بالفعل جر الجماهير الغفيرة وراءها لزم ذلك شرط حاسم وضروري وهو أن تقتنع الجماهير نفسها، من خلال تجربتها الخاصة، بصحة تعاليم وتوجهات وشعارات الطليعة. وتكمن تعاسة المعارضة، على وجه التحديد، في أنها لا تعترف بهذه القاعدة اللينينية البسيطة عندما لا تفهم أنه عند قيادة الجماهير الغفيرة ليس في مستطاع الحزب لوحده، مجموعة الطليعة لوحدها، أن ينجز الثورة إذا لم تسانده الجماهير العظيمة؛ فالثورة، في آخر الأمر، «تقوم بها» الجماهير الغفيرة من الشغيلة.

لماذا لم نصنع نحن البلاشفة، في نيسان 1917، شعارًا عمليًا للإطاحة بالحكومة المؤقتة وإرساء سلطة السوفييتات، رغم اقتناعنا بأننا سنكون في القريب العاجل أمام ضرورة الإطاحة بالحكومة المؤقتة وإرساء السلطة السوفييتية؟ لأن جماهير الشغيلة العظيمة، في المؤخرة كما في الجبهة والسوفييتات نفسها لم تكن مستعدة بعد لتقبل مثل ذلك الشعار؛ لأنها كانت لا تزال بعد تعتقد في الروح الثورية عند الحكومة المؤقتة. لأن الحكومة المؤقتة لم تكن قد شرعت تعرقل بعد ولم تكن قد انكشفت مساندها الثورة المضادة في المؤخرة وفي الجبهة بعد. لماذا ندد لينين، في نيسان 1917، بمجموعة باغداديايف التي صاغت شعار الإطاحة الفورية بالحكومة المؤقتة وتركيز سلطة السوفييتات؟ لأن محاولة باغداديايف كانت استباق خطير يهدد الحزب البلشفي بالانفصال عن الملايين من العمال والفلاحين.

روح المغامرة في السياسة والباغداديفية في قضايا الثورة الصينية ذلك ما يميز معارضتنا التروتسكية اليوم.

يقول الرفيق زينوفيف أتّي عندما أتحدّث عن الباغداديفيّة أكون قد مائلت الثورة الصّينية الحاليّة بثورة أكتوبر. من البديهي أن لا أساس لذلك. أولاً، لقد أكّدت بنفسني في مقالي «ملاحظات في مواضيع راهنة» أنّ:

﴿من البديهي أنّ المماثلة هنا تقريبية. ولا أقبلها إلّا بجميع التحفّظات التي يفرضها الاختلاف بين الوضع الصّيني اليوم وذاك الذي كان في روسيا عام 1917.﴾

ثانياً، سيكون من العبث التأكيد على أنّنا على نستطيع القيام بمماثلة بالثورات في البلدان الأخرى لتحديد تيار معيّن أو أخطاء معيّن في الثورة في البلدان المعنيّة. ألا تخضع ثورة بلد مدرسة ثورات البلدان الأخرى حتّى وإن لم تكن تلك الثورات من نفس النوع؟ إذن، فيما يختصر علم الثورة؟ من حيث الأساس، ينفي زينوفيف إمكانيّة قيام علم الثورة. ألم يتهم لينين، في الفترة السّابقة لثورة أكتوبر، تشخيدزه وتسيريديلي وستيكلوف والآخرين بأنهم قد أصيبوا بـ«لويلايّة» ثورة 1848 الفرنسيّة؟ انظروا في مقال لينين «اللويلايّة» فتجدوا أنّ لينين يستعمل كثيراً المماثلة بثورة 1848 الفرنسيّة ليحدّد أخطاء بعض المناضلين قبل أكتوبر رغم أنّ لينين كان يعلم جيّداً أنّ ثورة 1848 الفرنسيّة وثورتنا في أكتوبر ليستا من ذات النوع. وإذا ما كان بالإمكان أن نتحدّث عن «لويلايّة» تشخيدزه وتسيريديلي في الفترة السّابقة لثورة أكتوبر فلم لا يمكننا أن نتحدّث عن «باغداديفيّة» زينوفيف وتروتسكي في فترة الثورة الزراعيّة في الصّين؟

تؤكد المعارضة أنّ ووهان لم تكن مركز الحركة الثوريّة. لكن لماذا، إذن، كان الرفيق زينوفيف قد أعلن أنّ «من الصّوري مساعدة» كيومينتانغ ووهان «بجميع الوسائل» حتّى نجعل منه مركزاً للتضال ضدّ الكافينياكين الصّينيين؟ لماذا أصبحت أراضي ووهان دون غيرها مركزاً لأقصى تطوّر في الحركة الزراعيّة؟ ألم تكن أراضي ووهان (هوانان، هوباي)، في مطلع هذا العام، مركزاً لأقصى تطوّر في الحركة الزراعيّة؟ لماذا يمكن نعت كاتون بأنّها «ساحة سلاح الثورة» (تروتسكي) وهي التي لم تكن فيها حركة زراعيّة جاهريّة، في حين لا نعت ووهان بأنّها «ساحة سلاح» الحركة الثوريّة هي التي انطلقت من أراضيها الثورة الزراعيّة

وتطوّرت؟ إذن، كيف نفّسر أنّ المعارضة طالبت بإبقاء الحزب الشيوعي في كيومينتانغ وُو هان وفي حكومة وُو هان؟ أكانت المعارضة، في نيسان 1927 إلى جانب التكتل مع كيومينتانغ وُو هان «المضادّ للثورة»؟ فمن أين أتى هذا «العفو» وهذا الاضطراب عند المعارضة؟

لقد سعدت المعارضة بنجث بأن كان التكتل مع كيومينتانغ وُو هان قصير المدّة، وزعمت أنّ الأُمّية الشّيعيّة لم تنبّه الشّيعيّين الصّينيّين إلى إمكانيّة فشل كيومينتانغ وُو هان. ولا حاجة لنا لنؤكّد أنّ السّعادة الحيثيّة عند المعارضة تشهد ببساطة على إفلاسها السّياسي. فالمعارضة تعتقد، على ما يبدو، أنّ التكتل مع البرجوازيّة الوطنيّة في البلدان المستعمّرة يجب أن يكون طويل المدّة. لكن لا يمكن أن يفكّر على هذا التّحوّ إلاّ أشخاص فقدوا آخر بقايا اللّيبنيّة. فإذا كان قد ظهر أنّ الإقطاعيّين والإمبريالّيّة في الصّين، في الطّور الحالي، أقوى من الثّورة، وإذا كان القمع الذي مارسه تلك القوى المعادية قد أدّى إلى انعطاف كيومينتانغ وُو هان نحو اليمين وإلى هزيمة الثّورة الصّينيّة هزيمة مؤقتة، فلا يمكن أن يسعد بذلك إلاّ أشخاص أصيبوا بالانهزاميّة. وفي ما يتعلّق بإعلان المعارضة الذي مفاده أنّ الأُمّية الشّيعيّة لم تنبّه الحزب الشيوعي الصّيني إلى إمكانيّة فشل كيومينتانغ وُو هان، فإنّ ذلك علكة معتادة تملأ بها المعارضة فمها.

اسمحوا لي أن أذكر بعض الوثائق لأكشف أكاذيب المعارضة.

تعود الوثيقة الأولى إلى شهر أيار عام 1927:

﴿الآن، الجوهري في سياسة الكيامينتانغ الداخليّة هو تطوير الثّورة الزراعيّة في جميع الأقاليم بانتظام، بما فيها وبوجه خاصّ في كوانغ-توانغ، تحت شعار «كلّ السّلطة لاتّحادات ولجان الفلاحين في الرّيف». هنا أساس نجاحات الثّورة والكيومينتانغ. هنا الأساس الذي يمكن، في الصّين، من خلق جيش سياسي وعسكري واسع وقويّ ضدّ الإمبريالّيّة وأعاونها. عمليّاً، شعار حجز الأراضي مناسب

إلى أقصى حدّ في الأقاليم ذات الحركة الزراعيّة الكبيرة مثل هو نان وكوانغ-تونغ،
الح. وتستحيل الثورة الزراعيّة من دون ذلك.

يجب، منذ الآن، الشروع في تنظيم ثمان أو تسع كتائب مؤلّفة من فلاّحين
وعمالا ثوريّين لها قيادة فيها ثقة مطلقة تكون بمثابة حرس وُو هان في الجبهة وفي
المؤخّرة لتنزع سلاح الوحدات التي تضعف الثقة فيها. ولا يجب تأخير في ذلك.

يجب تقوية العمل في المؤخّرة وفي وحدات تشان كاي-تشيك حتّى تفكّك
وتوجّه إلى مساندة الفلّاحين المنتفضين في كوانغ-تونغ أين سلطة المالكين العقاريين لا
تحمّل على نحو خاصّ. ﴿﴾

تعود الوثيقة الثّانية إلى شهر أيّار 1927:

﴿﴾ يستحيل التصرّ دون ثورة زراعيّة. فمن دونها ستصبح لجنة الكيومينتانغ
المركزيّة دمية تعيسة في أيدي جنرالات لا ثقة فيهم. ويجب محاربة الإفراط لا
بالجيش بل بواسطة اتّحادات الفلّاحين. نحن وبحسب، مع أن تنتزع القاعدة الأرض
بالفعل. إنّ تقديرات رحلة تانغ بينغ-سيان لها بعض الأساس. فما يجب ليس
الانفصال عن حركة العمال والفلّاحين بل المساهمة فيها بكلّ الوسائل، وإلاّ
ستخسرون كلّ شيء.

بعض القادة القدامى من لجنة الكيومينتانغ المركزيّة خائفون من الأحداث
ومتردّدون ويساومون. يجب جذب أكثر ما يمكن من الزّعماء الجدد من الفلّاحين
والعمال القاعديّين إلى لجنة الكيومينتانغ المركزيّة. فأصواتهم الصّلبة ستجعل القدامى
إمّا حاسمين وإمّا جيفة. يجب تغيير تركيبة الكيومينتانغ الحاليّة. ومن الصّوروي مطلق
الصّورة تغيير قمّة الكيومينتانغ وإكراهها بزعماء جدد امثّلحوا في الثورة الزراعيّة،
ويجب توسيع محيطه بملايين المنخرطين في لجان العمال ولجان الفلّاحين؛ وإلاّ
سيكون الكيومينتانغ محدّدا بالانفصال عن الحياة ويفقد كلّ سلطته.

يجب تصفية حالة التّبعية لمن قلّت فيهم الثّقة من الجنرالات. عبثوا عشرين ألفا
من الشيوعيّين، وأضيفوا خمسين ألف من العمال والفلّاحين الثّوريّين من هو-نان

وهو-بي، وألقوا بعض فرق مسلحة جديدة، واستخدموا تلاميذ المدرسة العسكرية، ونظّموا جيشكم الخاص الموثوق قبل فوات الأوان، وإلا فما من ضمان من الفشل. إنّها مهمّة صعبة لكن ليس هنالك من طريق آخر.

نظّموا محكمة عسكريّة ثوريّة على رأسها أعضاء منبثقين من الكيومينتانغ ليسوا شيوعيين. وسلطوا عقوبات على الضباط الذين يقيمون صلوات بتشانغ كاي-تشيك أو يؤلّبون الجنود على الشعب؛ على العمال والفلاحين. ولا يجب الاقتصاد على لفت انتباههم. فقد حان وقت الشروع في التّحرك. يجب معاينة المارقين. فإن لم يتعلّم أعضاء الكيومينتانغ أن يصبحوا يعاقبة ثوريين فسيهلكون هم والشعب والثورة. ﴿﴾

ترون أنّ الأميّة الشيوعيّة كانت قد افترضت الأحداث، وأنّها كانت قد أشارت إلى الأخطار في الوقت المناسب، وكانت قد نهت الشيوعيين الصينيين إلى انهيار كيومينتانغ وو هان إن لم يصبح أعضاء الكيومينتانغ يعاقبة ثوريين.

لقد قال الرفيق كامينيف أنّه إذا ما كانت الثورة الصّينيّة قد انهزمت فإتّما يرجع ذلك إلى سياسة الأميّة الشيوعيّة، وإلى أنّنا «كنا صنعنا كافيّنايين في الصين».

أيّما الرفاق، لا يجرأ على قول مثل هذا القول في حزبنا إلا رجل مستعدّ لاقتراف جريمة في حقّ الحزب. وعلى هذا التّحو كان المناشفة قد تحدّثوا عن البلاشفة أثناء هزيمة تموز 1917، حين ظهر على السّاحة الرّوسيّة الكافيّنايون الرّوس. لقد كان لينين قد كتب في مقاله «في الشّعارات» أنّ هزيمة تموز 1917 كانت «انتصار الكافيّنايين». سخر المناشفة وقتئذ معلّنين أنّه إن ظهر الكافيّنايون فإنّ ذلك بسبب سياسة لينين الخاطئة. فهل يعتقد الرفيق كامينيف أنّه بسبب سياسة لينين، بسبب سياسة حزبنا، أن ظهر الكافيّنايون الرّوس أثناء هزيمة تموز 1917 ولم يكن ذلك بسبب أمر آخر؟ وهل يضع الرفيق كامينيف نفسه هنا في موضع الشّادة المناشفة؟ (ضحك). لم أكن لأعتقد أن يسقط رفاق المعارضة في هذا الحضيض... نحن نعلم أنّ ثورة 1905 كانت قد منبت هزيمة أعمق من الهزيمة

الحالية في الثورة الصينية. ويقول المناشفة أنّ هزيمة ثورة 1905 كانت بسبب تكتيك البلاشفة الثوري الأقصى. أيفكر الرفيق كامينيف، هنا أيضا، في أن يتخذ من تأويل المناشفة لتاريخ ثورتنا نموذجا فيرمي الكرة في مرمرى البلاشفة؟ وكيف نفسر هزيمة جمهورية البافار السوفيتية؟ ربّما بسياسة لينين وليس بميزان القوى الطبقي؟ وكيف نفسر هزيمة الجمهورية السوفيتية المجرية؟ ربّما بسياسة الأممية الشيوعية وليس بميزان القوى الطبقي؟ كيف يمكننا أن نؤكد أنّ بإمكان تكتيك حزب معين أن يقلب ميزان القوى الطبقي أو يغيره؟ هل كان تكتيكنا عام 1905 صحيحا أم لا؟ إذن، لماذا منينا بالهزيمة؟ ألا تشهد الأحداث أنّ بسياسة المعارضة كان من الممكن أن تنتهي الثورة في الصين إلى الهزيمة بوتيرة أسرع ممّا حصل فعلا؟ كيف نصتف الأشخاص الذين ينسون ميزان القوى الطبقي أثناء الثورة ويسعون إلى حصر تفسير كلّ شيء بتكتيك حزب معين؟ لا يمكننا أن نقول عن مثل أولئك الأشخاص سوى أنّهم قاطعوا الماركسية.

الخلاصة. أهمّ أخطاء المعارضة هي:

لا تفهم المعارضة لا طابع الثورة الصينية ولا آفاقها.

لا ترى المعارضة الفرق بين الثورة في الصين والثورة في روسيا؛ الفرق بين الثورة في البلدان المستعمرة والثورة في البلدان الإمبريالية.

تقاطع المعارضة تكتيك اللينينية في قضية الموقف من البرجوازية الوطنية في أولى مراحل الثورة في البلدان المستعمرة.

لا تفهم المعارضة قضية مشاركة الشيوعيين في الكيومينتانغ.

تتخلّى المعارضة عن مبادئ التكتيك اللينيني في قضية العلاقة بين الطليعة (الحزب) والمؤخّرة (الملايين من الشّغيلة).

تقاطع المعارضة قرارات اجتماعي تنفيذية الأممية الشيوعية، السادس والسابع، الموسعين.

تعرض المعارضة سياستها في القضية الصينية خلسة مؤكدة أنّ الأمور ستجري على نحو أحسن في الصين بتلك السياسة. وليس هنالك حاجة حتى نبرهن على أنّ الحزب الشيوعي الصيني كان سيدفع في طريق مسدود لو اتّخذ لنفسه سياسة معادية للينينية، سياسة المغامرة التي تبشّر بها المعارضة. فإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد تطوّر في وقت قصير من مجموعة صغيرة مؤلّقة من ألفي منخرط إلى حزب جاهيري يعدّ ستين ألف عضو؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح خلال تلك الفترة في تنظيم قرابة ثلاثة ملايين عامل في النقابات؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح في إنهاض ملايين عديدة من الفلاحين من خمولهم وجذب عشرات الملايين من الفلاحين إلى الاتحادات الفلاحية الثورية؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح، خلال هذه الفترة، في أن يجذب أفواجا وكتائب بأكملها من الجيوش الوطنية إلى صفّه؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح، خلال هذه الفترة، في تحويل فكرة همنة الطبقة العاليتة من شعار إلى واقع مكتسب – فإنّ ذلك يفسّر، من جملة أمور أخرى، بواقع أنّه اتّبع الطريق التي رسمها لينين، الطريق التي أشارت إليها الأُمّية الشيوعية.

ولا فائدة من القول أنّ بـسياسة المعارضة، بأخطائها وتوجهها المعادي للينينية، تكون تلك نجاحات الثورة تلك إمّا معدومة وإمّا مختزلة إلى أقصى حدّ.

ولا يشكّ في ذلك إلا المرتدون من أقصى اليسار والمغامرون ❁

المصدر المعتمد في الترجمة:

ABOUT CHINA

*Speech delivered on august 7, in the joint Plenum of the
Central Committee and Central Commission Control of the
C.P.S.U.(B)., July 29-August 9, 1927*

J. Stalin: Works Vol. 10, p 10-39

Foreign Languages Publishing House, Moscow, 1954

﴿فإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد تطوّر في وقت قصير من مجموعة صغيرة مؤلّفة من ألفي منخرط إلى حزب جماهيري يعدّ ستين ألف عضو؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح خلال تلك الفترة في تنظيم قرابة ثلاثة ملايين عامل في النقابات؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح في إنهاض ملايين عديدة من الفلاحين من حمولهم وجذب عشرات الملايين من الفلاحين إلى الائتحدات الفلاحية الثورية؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح، خلال هذه الفترة، في أن يجذب أفواجا وكثائب بأكملها من الجيوش الوطنية إلى صفّه؛ وإذا كان الحزب الشيوعي الصيني قد نجح، خلال هذه الفترة، في تحويل فكرة هيمنة الطبقة العاملة من شعار إلى واقع مكتسب - فإنّ ذلك يفسّر، من جملة أمور أخرى، بواقع أنّه اتّبع الطّريق التي رسمها لينين، الطّريق التي أشارت إليها الأُمّية الشيوعيّة﴾ ستالين